

طبيب وخمس نساء

مبنية على أحداث حقيقية

أحمد الملا

دار الفراعنة للنشر والتوزيع

اسم العمل : طبيب وخمس نساء

اسم الكاتب: أحمد الملا

نوع العمل: رواية

رقم الإيداع :٢٠١٨/٢٧١٢١

الترقيم الدولي: ٠-١٤-٦٦٦٨-٩٧٧-٩٧٨

تصميم الغلاف : م. أسماء رمضان

التدقيق اللغوي : د/ عبد الرحمن حجازى

الناشر : دار الفراعنة للنشر والتوزيع

رئيس مجلس الأدارة : إكرام عيد

المدير التنفيذي : عزة ابراهيم

المدير العام : مصطفى فاروق

تليفون :٠١٠٠٦١٤١٦٤٥



إهــــداء

إلى أمي الأستاذة نعيمة إمباي – أستاذة اللغة العربي –

معلمتي الأولى التي أخذت منها حب اللغة العربية والقراءة والإطلاع .

إلى أبي الأستاذ محمد الما – أس اذ الخط العري –

الذي روى عطشنا للقراءة بكل أ وان المعرفة بدءاً من ميكي وماجد

ومروراً بروايات الجيب وحتى أمهات الكتب .

إلى إخوتي محمود وهشام ونسمة الملا ،

أول من آمنوا بي وأهم جمهور لدي .

إلى زوجتي رانيا عبد الحميد وبناتنا مريم وجنى ،

مشروعي الوحيد في ه ه الدنيا .

إلى رقيم ، و زملاء رقيم ،

عالمي الذي إليه أنتمي .

إهـــــداء

إلى كل امرأة عربية

من المحيط إلى الخليج

إلى أبطال هذه الرواية الحقيقيين

إلى بسمة

صاحبة هذا العمل

المحتوى :

مقدمة

أنا بسمة ... فتاة مصرية عادية جداً ... متوسطة الطول جميلة الملامح كما يقولون ... من مواليد محافظة القاهرة سنة ١٩٨٤ ... ولدت وترعرت في حي دار السلام بقلب محافظة القاهرة ... من أسرة متوسطة على قدر من العلم والتدين ميسورة الحال ... حصلت على ليسانس الآداب في علم النفس من جامعة عين شمس عام ٢٠٠٥ بتقدير عام جيد جداً مع مرتبة الشرف ... وخلال الأعوام الأخيرة من وقت التخرج وحتى يومنا هذا التحقت بالعمل في أكثر من مكان ... ولحبي الشديد لعلم النفس قررت أن أخوض تجربة الدراسات العليا وحصلت بالفعل على شهادة الماجستير في الصحة النفسية إلى جانب عملي كأخصائية نفسية في عدد من العيادات والمدارس الخاصة ... مررت بالعديد من التجارب بحكم عملي ... وعايشت الكثير من المشاكل والصراعات ... فكرت منذ فترة في كتابة مذكراتي أو أن ألخص هذه التجارب في عدد من المذكرات ، إلا أنني كنت أتردد كل مرة لأكثر من سبب أولها أنني لا أجيد الكتابة و سرد الأحداث ، بالإضافة إلى أنني أؤمن تماماً بحق المريض – خاصة النفسي – في الاحتفاظ بأسراره وخصوصياته ، إلا أن أحد معارفي المقربين والذي يعمل في مجال الصحافة أقنعني بأهمية التدوين ونشر مثل تلك التجارب التي قد تكون يوماً ما – على الرغم من بساطتها – مرجعاً للطلاب والباحثين ومن على شاكلتهم، أكثر من كونها مادة للقراءة الحرة والتسلية ، وبعد عدة محاولات قررت أن أبدأ تسجيل إحدى أهم تجارب حياتي الشخصية والعملية والتي كان لها بالغ الأثر في تحويل مجرى حياتي بشكل كامل فيما بعد .

بالطبع لم أكتب حرفاً قبل اسئذان الأبطال الحقيقيين للقصة وتغيير أسمائهم وبعض تفاصيل حياتهم بما لا يتعارض مع التجربة التي خضناها سوياً ، وهنا وجب علي أن أتوجه إليهم جميعاً بالشكر على موافقتهم وتفهمهم للأمر ، وأشكرهم أكثر على أنني قد أصبحت جزءاً هاماً في حياتهم كما أصبحوا هم بالنسبة لي.

بسمة أحمد

الإسكندرية ٢٠١٧

الخميس ٢٥ فبراير ٢٠١٠ الساعة ٨ صباحاً

البداية

أحب الشتاء مثل الملايين من بني البشر الذين يدعون حب الشتاء ولياليه المطيرة المصحوبة بأغاني فيروز و رائحة القهوة "المحوجة" التي تحتفظ أمي بخلطتها السرية التي ورثتها عن جدتي – رحمها الله – ولكن دعني أحطم لك تلك الصورة الوردية للشتاء بقليل من التفاصيل اليومية التي نعيشها هنا في قلب القاهرة ، فربع ساعة متواصلة من الأمطار كفيلة بأن تقلب حياتك رأساً على عقب ، شلل تام في كافة الطرق الرئيسة والشوارع الجانبية ، تعطل شبه دائم لوسائل المواصلات الحيوية وأهمها مترو الأنفاق صديق الدراسة والعمل للملايين من القاهريين ، حتى التمشية الرومانسية تحت المطر كما تصورها كلاسيكيات السينما العالمية تحتاج إلى مجهود ذهني وبدني يفوق أكثر لاعبي السيرك براعة حتى تستطيع عبور الشارع بسلام متفادياً السيارات والتكاتك وبرك المياه والوحل ... و ها أنا ذا أبدأ رحلتي اليومية إلى مدرسة الغد الخاصة - حيث أعمل كإخصائية نفسية - باحثة عن أي وسيلة مواصلات تنتشلني من هذه المستنقعات وتأخذني إلى مقر عملي .

على مضض أوقف السائق العشريني سيارته الميكروباص كي ينزل أحد الركاب لأجد الفرصة سانحة كي أصعد إلى السيارة ، وكنظرة أمي حينما تنتهي من مسح وتنظيف البيت ويدخل أحدنا بحذائه المشبع بالوحل استقبلني السائق بنظرة مماثلة وكأنني أنا الوحيدة التي دنست سيارته الطاهرة بحذائي

الآثم ، جلست في المكان الشاغر وأخرجت ورقة من فئة العشرين جنيهاً وأرسلتها إلى السائق .

- واحد من العشرين يا أسطى لو سمحت
- اصطبحنا واصطبح الملك لله ، هي كلها عشرينات النهاردة ولا إيه ؟
- نعم ؟
- معلش يا بنتي أصله مش معاه فكة وكذا حد إداله عشرينات "قالتها السيدة التي تجلس بجواري"
- خلاص يا أسطى هات العشرين وهبعتلك جنيه
- ما كان م الأول "قالها احد الركاب المتطوعين في هذا النقاش المجتمعي الجميل"

بخبرتي في ركوب المواصلات أتجنب فتح أو المشاركة في أي نقاش أو جدال مع هذا أو تلك مهما كانت المكاسب المتوقعة خاصة في فترة الصبح و أركز فقط على وجهتي

- اتفضل يا أسطى جنيه أهو ونزلني مجمع المدارس لو سمحت
- ماشي يا أبلة

لم يقل لي "أبلة" لعلمه المسبق أنني أعمل في مدرسة خاصة ، ولكن هذا المصطلح "أبلة" يتعامل به السائقون وغيرهم مع فئة الإناث في المرحلة العمرية من ١٨ إلى ٣٥ قبل انتقالهم إلى مرحلة "المدام" و "الحاجة" فيما بعد ، عند محطة مجمع المدارس وقفت السيارة لأنزل منها وأسير ما يقرب

من ٣٠٠ خطوة حتى أصل إلى المدرسة ، وعلى باب المدرسة استقبلني "عم عبد الله" بابتسامته العريضة المعتادة

- حمدالله ع السلامة يا ميس بسمة ، والله أنا قلت إنتي مش جاية النهاردة في الجو ده
- صباح الفل يا عم عبد الله ، على إيه يعني دول شوية مطر ، ده إحنا جامدين قوي
- ربنا يسترها معاكي يا بنتي ، خشي بسرعة عشان تلحقي الدفتر بتاعك

لم أستطع منع ضحكتي عندما قالها ، فمن كثرة تأخري شبه اليومي أصبح من المعروف أن هناك دفتر للحضور والانصراف ، و دفتر التأخيرات الذي أطلقوا عليه "دفتر بسمة" ، دخلت و قمت بالتوقيع و توزيع السلامات والابتسامات و القبلات كالمعتاد ، وفي مكتب التربية الاجتماعية كانت "هناء" الأخصائية الاجتماعية تمارس مهمتها الجليلة في إسداء النصائح الزوجية والمطبخية والحياتية للزميلات أثناء تناول الإفطار و شرب النسكافيه ، حيث كانت تجلس معها هذه المرة زميلتنا "سارة" مدرسة العلوم ، وبعد السلامات وضعت حقيبتي على المكتب وقمت بتشغيل الكمبيوتر الخاص بي واعتدلت في جلستي مخاطبة "سارة" : يا بنتي سيبك من هناء دي والله هتوديكي في داهية وهتدخلي الموسوعة وتبقي من ضحاياها .

- سارة : ضحاياها ؟ موسوعة ؟ إيه الحكاية يا ميس هناء ؟
- هناء : سيبك من الهبلة دي مش عارفة مصلحتها ، اللي قدها عيالها في المدرسة دلوقتي

- بسمة : آه آه وغسيلهم ع الحبل وطبيخهم ع النار ، بدأنا الإسطوانة بتاعت كل يوم
- هناء : الحق عليا إني عاوزة مصلحتك ، خليكي إنتي كدة مضيعة شبابك وصحتك على الشغل والدكتوراة لما نشوف آخرتها
- سارة : ملكيش دعوة يا ميس هناء كل واحد دماغه مريحاه
- بسمة : الله ينور عليييييييكي ، ولما هو كل واحد دماغه مريحاه لزمتها إيه حقنة الصبح و الودودة في الفاضي والمليان ؟
- هناء : أنا ؟؟؟ يا بنتي إحنا ملناش إلا بعضينا فيها إيه لما نشور بعض وناخد رأي بعض و ...
- بسمة : ونهري مع بعض ، ونخرب على بعض
- سارة : إيه يا ماما انتي رحتي فين ؟ كل ده عشان جاية أسألها الكوارع بتتعمل إزاي ؟
- بسمة : كوارع آه ... ماهي كل بلاوي الدنيا بتبتدي بالكوارع
- هناء "ضاحكة" : الله يجازي شيطانك ... إنتي بالذات والنبي مانا قايلالك على حاجة حتى لو هتموتي قدامي كدة
- بسمة : يا ستي متشكرين خليهالك ، والبركة في زباينك ، منورة المحل والله يا ميس سارة ، هو النهاردة معندناش حصص ولا إيه ؟
- سارة : عندنا ياختي ، مش زيك قاعدة طول النهار بتلعبي في ظوافرك وتلعبي على الكمبيوتر
- بسمة : صباحو قر يا ستي

وهنا دخلت إحدى طالبات المدرسة ممسكة بالدفتر الذي يبغضه الجميع والمعروف باسم "دفتر الاحتياطي"

- الطالبة : اتفضلي امضي يا ميس بسمة
- بسمة : بركاتك يا ميس سارة ، تعالي يا حبيبتي وريني جايبالي إيه ... نعم ؟؟؟ حصتين احتياطي ؟؟؟ بقى أنا عشان مرضيتش أزعل ميس أمينة الأسبوع اللي فات عشان مدياني حصة تقوم تكافئني النهاردة بحصتين ؟ والله ما أنا ساكتة لها المرة دي

أخرجت الهاتف المحمول بعصبية من الحقيبة ، وقمت بالاتصال بميس أمينة :

- آلو ... ميس أمينة ... عليكم السلام ... هو إحنا مش اتفقنا يا ميس أمينة إن الأخصائيين النفسيين مش مدرسين ومش بياخدوا حصص احتياطي ؟ .... أوكي ماشي أنا فاهمة إنه الجو وحش وفيه زميلات كتير غايبين النهاردة بس ده ذنبي إني أنا جيت في الجو ده ؟ ... مش سامعة حضرتك ... هو حضرتك إجازة كمان ؟ .... لا ألف سلامة عليكي ... حاضر يا ميس أمينة ... حاضر ... لا متشغليش بالك ... لما ترجعي بقى نبقى نتكلم ... حاضر ... مع السلامة ... عليكم السلام ورحمة الله وبركاته
- هناء : حنفي ... هتنزل المرة دي
- بسمة : يا ست إنتي متستفزنيش أنا مش طايقة نفسي
- سارة : إنتي حد كلمك ... ما تروحي تتشطري عليهم

- بسمة : كله منك روحي يا شيخة الله يـــ .....

قاطعنا صوت هاتفي المحمول

- هناء "ضاحكة" تلاقيها ميس أمينة هتديكي حصتين كمان
- بسمة : صبرني يا رب ... لا ده رقم غريب ... عاوز إيه ده كمان على الصبح كدة ؟

بعصبية شديدة فتحت المحمول وقلت :

- ألو سلامو عليكو ... دكتورة بسمة ؟ "في هذه اللحظة اختفت عصبيتي تماماً لكوني أحب مناداتي باسم دكتورة بسمة" ... آه أنا مين حضرتك ؟ ... دكتور عاصم مين ؟ أنا معرفش حد بالاسم ده ..... "وفجأة تذكرته" .... آآآآآآآه آه دكتور عاصم أيوه تمام ... "تحولت لهجتي ١٨٠ درجة" ... النهاردة ؟ ... آه مناسب طبعاً ... تمام يا فندم ... آه طبعاً فاكرة المكان ... لا أنا في الشغل دلوقتي ... بالليل ؟ أوك حاضر ... في المعاد هتلاقيني عند حضرتك بإذن الله ... لا يا فندم أنا اللي متشكرة جداً ... مع السلامة

إنه الدكتور عاصم ... عاصم النجار ... واحد من أشهر الأطباء النفسيين في القاهرة ومصر كلها ... كان قد أعلن عن حاجته لوظيفة مساعد في عيادته النفسية وذهبت و قدمت أوراقي و قابلته ... كان ذلك منذ أسابيع لدرجة أنني توقعت أن أحداً غيري قد فاز بالوظيفة ... لم ألتفت لهمهمات هناء وسارة إلا عندما رفعت هناء صوتها كي تنتشلني من تفكيري

- سبحان مغير الأحوال ... دكتور عاصم ... وبالليل ... وإحنا أكياس جوافة قاعدين جنبك
- بسمة "وقد اختلطت في صوتي مشاعر الفرحة مع الخجل " : يا مجنونة
- سارة : مجنونة آه ... وإيه كمان ؟
- هناء : أقسم بالله أنا من زمان بقول البت دي مقرطسانة كلنا ومقضياها
- بسمة : بس بس حيلك حيلك إنتي وهي ... ده شغل والله شغل
- هناء : شغل إيه يا أم شغل اللي مع حد مش عارف اسمه ورايحة له بالليل ... يا ما شاء الله يا ما شاء الله ... الشرف ... الشرف يا ولاد الكلب "وضحكنا كلنا عند هذه الجملة"
- بسمة : خلاص ياعم سعيد صالح ... هحكيلك والله ... أنا من ساعة ما سبت عيادة دكتور إلهام وأنا بدور على عيادة أشتغل فيها بعد الظهر ... منها تساعدني في مصاريف الدكتوراة ومنها أكتر خبرة في مجال شغلي و دراستي اللي بحبهم ... دكتور عاصم ده حد مشهور جداً وعيادته جنبنا هنا في المعادي ... كان طالب حد يشتغل معاه مساعد وأنا رحت قدمت وعمل لي انترفيو ... وشكلي قبلت في الشغلانة ... والله لو مشوار النهاردة ده عدى على خير لأحلي لكم بقكم وأعزمكم عزومة محصلتش
- سارة : آه عارفاها أنا الدخلة دي وبترسى على بيتزا في الآخر
- بسمة : لا عيب عليكي
- هناء : بيتزا ؟ والله ما تعدي إلا بمحشي وبط

- بسمة : والله ما هكسرلك كلمة ، بس ادعيلي بس

وكانت تلك المكالمة هي بداية رحلتي مع الدكتور عاصم

الخميس ٢٥ فبراير ٢٠١٠ الساعة ٦ مساءً

أول يوم في عملي الجديد

....

"المعادي لمن يسكنون في المعادي" ... هذه الجملة من إحدى المسلمات التي تربينا عليها منذ الصغر ... فبالرغم من أنني ولدت وترعرت على بعد كيلومترات قلائل من المعادي إلا أنها ظلت حتى فترة قريبة جداً تشكل بالنسبة لي متاهة عظيمة ... فمنطقة المعادي القديمة عبارة عن إشارة مرور وكشك ورد على صينية دائرية تتفرع منها الشوارع الجانبية ... هذا النموذج الثلاثي المكرر كثيراً في المعادي يجعلك تمضي الدقائق والساعات تدور حول نفسك بين متشابهات حتى ينقذك أحد السكان الأصليين لكوكب المعادي ... لحسن حظي كانت عيادة الدكتور عاصم النجار ذات شهرة مميزة ... وتقع في إحدى العمارات في منتصف المسافة ما بين كورنيش النيل ومحطة مترو المعادي ... وها أنا أعبر الشارع باتجاه العمارة قبل الموعد المحدد بخمس دقائق بالضبط ... ألقيت السلام على حارس العمارة الذي قام – كمثله من الرجال – بأخذ صورة ثلاثية الأبعاد من أول كعب حذائي و حتى آخر دبوس في الطرحة السماوية التي تستر رأسي ... عجباً لهذا الصنف من الذكور الذي لا يفرق في نظراته الخادشة بين محتشمة و غير محتشمة ... دخلت المصعد وصعدت إلى الدور الرابع ... وجدت باب العيادة الفخم مفتوحاً ... وكعادة هذه الأماكن لا تكون مكتظة بالناس لأن الطبيب النفسي لا يتعامل مع حالات

كثيرة في يوم واحد ... دخلت المكان وجدته مريباً ... الإضاءة خافتة نوعاً ما ... الهدوء يسود المكان ... لحظات وتكتشف مزيجاً من صوت مقطوعة موسيقية كلاسيكة تنبعث من المكان مع صوت إذاعة القرآن الكريم الذي يأتي من أحد الأماكن داخل هذه الشقة الغريبة ... لوهلة فكرت في الانصراف أو العودة في وقت مبكر في يوم آخر ... أخذني من وساوسي صوت هادئ بنبرة صعيدية واضحة : أي خدمة يا بنتي ؟

- حضرتك أنا كان عندي معاد مع الدكتور عاصم الساعة ستة
- يبقى إنتي الدكتورة بسمة ... صح كدة ؟
- تمام يا فندم
- أهلاً بيكي يا دكتورة ... الدكتور قاعد ومنتظرك ... اتفضلي استريحي هبلغه و أرجعلك

شئ غريب في صوت هذا الرجل - السبعيني ذو الملامح الهادئة الطيبة – جعلني أشعر بالارتياح وأتراجع عن فكرة الانصراف ، ماهي إلا ثوان معدودة حتى عاد إلى مبتسماً

- اتفضلي يا بنتي المرة دي في المكتب بقى مش غرفة الاجتماعات زي المرة اللي فاتت اللي أنا مكنتش موجود يومها
- آه فعلاً أنا برضه مش فاكرة إني شفت حضرتك ، متشكرة جداً يا عم ...
- سليمان ... اسمي سليمان
- متشكرة ياعم سليمان

فتح لي الباب ، ودخل ورائي لأجد نفسي أمام لوحة جمالية من زمن الباشوات والنبلاء ... الأثاث الكلاسيكي بالغ الفخامة ... الديكورات التي تناسب هذا الجو بدءاً من المدفأة والنجف والأباجورات واللوحات المعلقة التي تتنافس فيها زخارف الخط العربي مع المناظر الطبيعية الجميلة ... المكتب في حد ذاته كأنه عمل فني منحوت ... ويتوسط كل ذلك الدكتور عاصم ... رجل طويل القامة ذو جسم رياضي ممشوق يجلس على كرسي المكتب وخلفه حائط يعج بشهادات التقدير العلمية والأدبية بل والرياضية أيضاً ... أبيض البشرة ... شعره ناعم خليط بين البني والفضي والأبيض بحكم سنه الذي يقترب من الخمسين ... برنس من الزمن الجميل ... كوكتيل من أفلام الأبيض وأسود بطولة رشدي أباظة وعمر الشريف وأحمد مظهر... زادته لحيته الخفيفة المرسومة بعناية ونظارته الطبية الأنيقة جمالاً على جمال ... حينما دخلت قام بمنتهى الشياكة واقفاً دون أن يمد يده بادئاً بالتحية :

- أهلاً بيكي يا دكتور ... يا ترى المواعيد المظبوطة دي على طول ولا بس عشان أول يوم وكدة ؟

كنت لازلت في مرحلة الانبهار التي لاحظها الدكتور عاصم وأراد بكلماته أن يلطف الأجواء كي نتجاوز مرحلة الرسميات ... مددت يدي إليه لأسلم عليه : أهلاً بحضرتك يا دكتور ... والله البركة فيكم بقى أنا جاية أتعالج من الموضوع ده

- سليمان : دي جاية تتعالج يا دكتور مش تشتغل ... قلتلك ١٠٠ مرة أنا اللي اختارلك المساعد بتاعك إنت مسمعتش الكلام

- عاصم "مازحاً" : معلش ياعم سليمان بقى على قد فلوسنا

أحسست ببعض الحرج فبادر عم سليمان : دي باين عليها بتصدق

- عاصم : إحنا بنهزر يا دكتور ... ده هزار عواجيز بكرة تتعودي عليه ... عم سليمان ده اللي مربيني وقعد في المكان ده أكتر مني ... من أيام ما كانت دي أكبر عيادة باطنة في المعادي في حياة والدي الدكتور عبد الحميد النجار
- سليمان "بتنهيدة عميقة" : الله يرحم الغالي ويرحم موتانا أجمعين
- عاصم : وعلى فكرة ... أنا مش بسلم على ستات بالإيد
- بسمة : لا عادي يا دكتور ... وعلى فكرة كمان أنا مش ستات
- سليمان : إيه ؟؟؟
- بسمة : أقصد إني آنسة ياعم سليمان ... معلش معلش ده هزار بنات بكرة تتعود عليه
- عاصم "ضاحكاً" : لا كدة تمام قوي واضح إن الدكتورة بسمة معانا ع الخط يا راجل يا طيب
- سليمان : أنا قلت في سري دي مش ستات ؟ نهار أزرق القيامة هتقوم .... جت سليمة الحمد لله .... تشربي إيه يا بنتي
- عاصم : اعمل لنا بقى اتنين سحلب سخنين كدة من إيدك الحلوة وأنا هدردش شوية مع الدكتورة بسمة
- سليمان : طب ما أدردش معاكم شوية ... ولا أنا مش قد المقام بقى اكمني صعيدي و دقة قديمة ...
- بسمة : أجدع ناس يا عم سليمان

- عاصم : عم سليمان ... إحنا هندردش في الشغل ... الشغل ياعم سليمان
- سليمان : شغل شغل ... ألا عمري ماشفتك لابس البالطو ولا ماسك سماعة زي أبوك الدكتور عبد الحميد الله يرحمه ... ده طب آخر زمن والله
- بسمة : بالطو وسماعة ؟
- عاصم : أهو كل يوم من ده ... "وأشار بيده" ... اتفضلي استريحي ... البيت بيتك
- بسمة : ميرسي يا دكتور
- عاصم : بصي بقى يا ستي ... أنا ذاكرت الملف بتاعك كويس ... وعارف إنك شاطرة ومجتهدة وليكي خبرة سابقة في شغلنا وحاجات تانية كتيرة ... وبصراحة عجبتني قصة إنه ليكي اهتمامات تانية غير الدراسة والشغل ... زي الرياضة والمزيكا
- شكراً يا دكتور دي شهادة أعتز بيها
- لكن برضه كل ده مكانش السبب في اختياري ليكي من بين ١٨ واحد اتقدموا للوظيفة دي
- أمال إيه يا ترى ؟
- فاكرة السؤال اللي سألتهولك في الانترفيو ؟
- و دي حاجة تتنسي يا دكتور ؟ ... هو سؤال واحد ولما جاوبت عليه قلتلي خلاص شكراً وهنبقى نتصل بيكي ... على طول فهمت إني لبخت في الكلام وإني خارج حساباتك
- أهي إجابتك دي هي السبب في إنك هتشتغلي هنا

- معقولة ؟
- طبعاً
- كل واحد كان بيدخل هنا كنت بسأله نفس السؤال ... لو قلتلك إن الإحصائيات الرسمية في مصر بتقول إن ١% من سكان مصر بيترددوا على العيادات النفسية ممكن تفسر ده بإيه ؟ ... فيه اللي قال إن ده مؤشر على إن الصحة النفسية في مصر كويسة ... واللي قالت إن ده معنا إنه فيه مليون مريض نفسي في مصر ... واللي اتفلسف وقال إن ده رقم مش صحيح نظراً لصعوبة الإحصاء ... إلا إنتي ... جاوبتي الإجابة النموذجية اللي في دماغي بالظبط

أحسست بالزهو والفخر حينما قالها وتذكرت إجابتي جيداً وقلت :

- أيوه أنا فاكرة إني قلت لحضرتك إنه ده معناه إن ٩٩% من باقي السكان لسه ميعرفوش إنهم مرضى نفسيين
- بالظبط كدة
- أيوه أنا مؤمنة بكدة جداً ... إن المرض النفسي مش عيب ولا كارثة ... بالعكس إحنا كلنا عندنا مشاكل ... وكلنا نقدر إننا نحتوي مشاكل بعض ... ونساعد بعض
- وهي دي فلسفتي في العلاج ... مش بحب أبداً تكون العلاقة بيني وبين المترددين على العيادة علاقة دكتور بمريض لأن العلاقة دي مش دايماً بتساعد الحالة بل بالعكس ممكن تأخر العلاج ... أنا بحب علاقة الصداقة المبنية على تبادل الخبرات والمشاعر ... الجو الأسري أو الصحوبية أياً كن اسمه بعيداً عن الرسميات والكلاكيع

- تمام يا دكتور
- أنا عندي هنا مجموعة من الحالات اللي بتعامل معاها بشكل فردي ... قبل ما تمشي هديلك CD عليه كل الداتا اللي ممكن تساعدك في الشغل ... بيانات الحالات والتسجيلات الصوتية وبعض التقييمات اللي أنا عاملها
- بالسرعة دي يا دكتور ؟ المفروض إن دي أسرار وحاجات ما .....
- وإنتي فاكرة إني هديكي الحاجات دي كدة من غير ما أعرفك كويس ؟
- مش فاهمة
- أنا من يوم الإنترفيو وأنا بسأل عنك وبعمل تحريات عليكي ... متخافيش أنا شاطر قوي في الحاجات دي ... وأعرف كويس إنتي مين وبنت مين وأفراد أسرتك بالتفصيل وبتشتغلي إيه وفين وبكام ... على فكرة العربية ١٢٨ بتاعتكم عليها ٤٥٠ جنيه مخالفات ... ابقي عرفي بابا بقى عشان يعمل حسابه
- والله ؟؟؟؟ وإيه كمان ؟؟؟؟؟

ضحك عاصم ضحكة رائعة زادته أناقة وجاذبية وتابع قائلاً :

- المعلومات هي أساس شغلنا يا دكتور بسمة ... و دي حاجة تطمنك متزعلكيش ... انتي هيكون معاكي خلاصة ٣ سنين شغل من ساعة ما رجعت من لندن حتى يومنا هذا
- حضرتك كنت مسافر ؟
- آه سافرت لندن قعدت فيها شوية ... شغل و دكتوراة وحاجات تانية هتعرفي كل حاجة في وقتها

- آه عارفاها طبعاً ... أوروبا بقى
- الأنثى هي الأنثى ... لا اطمني يا ستي أنا مش بتاع الكلام ده ... أنا راجل متجوز وعندي بنتين واحدة في ثانوي والتانية قربت تخلص تجارة إنجليش ... وبيتي وأسرتي هم رقم واحد في حياتي
- ما شاء الله ربنا يخلي يا دكتور ... مع إن شكلك يدي على أصغر من كدة بكتير
- ده أنا بتعاكس بقى ؟
- لا بجد والله
- أعمل إيه يا ستي أول ما اتخرجت قام الدكتور عبد الحميد الله يرحمه جوزني بدري بدري قبل ما أنحرف ... الله يسامحه بقى
- كويس والله
- نرجع لموضوعنا ... أنا داخل على تجربة جديدة قديمة ... قديمة لأنها بتطبق في الدنيا كلها خاصة برة بيعملوها على نطاق واسع ... جديدة لأني أول مرة أعملها ... عاوز أشتغل بطريقة العلاج الجمعي ... تسمعي عنها ؟
- طبعاً يا دكتور
- حلو قوي ... أنا هبدأ بمجموعة صغيرة ... مكونة من أربع شخصيات ... هتلاقيهم في فولدر لوحدهم ... هشتغل معاهم كمجموعة واحدة من أول الشهر ... في وجودك طبعاً ... خطة الشغل هتلاقيها برضه عندك ... عاوزك تذاكري الكلام ده كله بسرعة لأننا هنقابلهم يوم الثلاثاء الساعة ٦ مساءً من كل أسبوع .... يعني مفيش قدامك غير خمس أيام

- متتقلقش يا دكتور
- مش قلقان ... أنا ثقتي فيكي كبيرة قوي

وهنا دخل عم سليمان بالسحلب ، وضعه على المائدة الصغيرة أمامي وانصرف بكل هدوء ، فاستطرد عاصم قائلاً :

- أنا كدة خلصت كلام عن الشغل .... أحب أسمعك بقى
- تسمع إيه بالظبط ؟
- أي حاجة ... كلميني عن نفسك ... شغلك ... أي حاجة مع السحلب كدة
- آه بدل اللب والسوداني يعني ؟
- عاصم "ضاحكاً : لا الذكاء اللي أكتر من اللازم ده بيتعبني

في دقائق وبكل براعة استطاع عاصم أن يذيب كل الجليد بينه وبيني و بدأت أتكلم وأحكي ولم أسكت إلا حينما اكتشفت فجأة أن الساعة اقتربت من العاشرة مساءً ، فقمت على الفور ورافقني عاصم إلي المصعد و ودعني قائلاً :

- أشوفك على خير يا دكتور
- على معادنا الثلاثاء الجاي بإذن الله ... سلام يا دكتور ... ومن غير إيد أهو
- برافو عليكي ... بتتعلمي بسرعة
- أي خدمة ... سجلها في الملف بتاعي بقى

ودعني عاصم بضحكته المميزة وأغلق المصعد بابه و بدأت رحلة العودة إلى المنزل بعد يوم غير مسار حياتي للأبد

السبت ٢٧ فبراير ٢٠١٠ الساعة ٤ عصراً

أنا والملفات

لن أخفي إعجابي الشديد بشخصية الدكتور عاصم وأناقته ووسامته ، فبالرغم من فارق السن بيننا إلا أن له أسلوب مميز يدفعك إلى الحديث دون أي قلق أو خوف ، نبرة صوته الواثقة وملامحه الهادئة تضفي مزيداً من الارتياح لدرجة أنك ما إن تجلس معه لدقائق معدودة إلا وتشعر كأنك تعرفه منذ زمن ، لذا وجدتني – أثناء فقرة سحلب عم سليمان – أتحدث بمنتهى العفوية عن حياتي الجامعية والعملية وعشقى للقراءة والموسيقى الكلاسيكية ، وممارستي لرياضة الكاراتيه في صغري ، تحدثت عن عملي في المدرسة والصعوبات التي أواجهها مع الروتين اليومي والنظم واللوائح من جهة و أولياء الأمور ، تحدثت عن والدتي التي لا هم لها ولا دعاء إلا بالزوج الصالح الذي "يهنيني ويسعدني" بحسب قولها وكأنني أسبح في بحر الشقاء وحيدة في انتظار المنقذ ، تحدثت عن أشياء كثيرة ، عن أحلامي وطموحاتي ، عن حبي لمجال دراستي وعملي .

وبينما أنا على سريري بصحبة "اللاب توب" الخاص بي ، مستغرقة في دراسة الحالات التي أشار إليها الدكتور عاصم ، إذا بصوت هاتفي معلناً اقتحام أحدهم لهذا الهدوء الجميل

- ما تردي يا أحلى إخواتك ... ولا أنا بتصل في وقت مش مناسب
- هناء باشا ... أهلاً أهلاً ... وإيه الدخلة الهباب دي ؟

- إنتي لسه شفتي هباب ؟ ... بقى يا جزمة أكون مأكدة عليكي يوم الخميس إنك هتنزلي معايا السبت و نجيب جزمة وطرحة عشان كتب كتاب نيرمين ... وأتصل بيكي ساعة والهانم قافلة تليفونها ومنفضة
- يا نهار أبيض ... والله العظيم راحت مني خالص
- راحت آه ... مانا مش في حساباتك يا ست المهمة
- والله يا هناء مسحولة شغل من يوم الخميس وأنا ع اللاب لا عارف أروح ولا آجي ... ده أنا مش بشوف ماما وإخواتي إلا صدفة ع الأكل
- لا والله ... و ده من إيه بقى إن شاء الله
- يا بنتي مش أنا قايلالك إني نازلة شغل جديد في عيادة د. عاصم النجار
- آاااااااااااااااااااه ... قلتيلي بقى ... أيوه افتكرت ... سي عاصم آه ... واستنيتك يا ندلة ترجعي تحكيلي ولا عبرتي أهلي
- والله يا هناء راجعة متأخر يومها يادوب رجعت نمت صحيت تاني يوم ومن ساعتها وأنا في أوضتي عمال أجهز للشغل
- وحلو بقى على كدة سي الدكتور عاصم ؟
- ما تتلمي شوية الراجل قد أبويا وعنده بنات قدي
- قد أبويا آه ... ماهي بتبدأ بقد أبويا ... وبحترمه وبقدره ... والله ده بيعزني خالص ... وتختم بزوقيني يا ماما
- والله إنتي لو مش من سني ودفعتي كنت سميتك خالتي الزنانة ... أموت وأعرف إنتي بقيتي كدة إزاي
- وماله كدة ؟ وحشة أنا ولا إيه ؟
- لا والنبي ده أنتي كميلة ... إنتي عسل

- آه آه اشتغليني بكلمتين عشان أنسى عملتك السودة معايا
- خلاص والله هعوضهالك يا معلم ... بكرة بعد الشغل ننزل نظبط الدنيا
- كتب الكتاب يوم الثلاثاء ... يعني لو بعتيني بكرة هقتلك
- عيب عليكي ... والله ده كان رايح من دماغي موضوع كتب الكتاب ده كمان ... ده أنا أول يوم شغل ليا يوم الثلاثاء ... مش عارفة أعمل إيه والله دلوقتي
- من أولها بعتي أصحابك عشان عاصم ... خير خير
- لا طبعاً مش هيحصل ... هظبطها
- طب مش هتحكيلي عملتي إيه مع سي عاصم
- أما أشوفك بكرة
- بكرة بكرة ... والله شكلك ناوية على إجازة بكرة ... ابقي اعمليها وأنا أجيلك البيت أهده فوق دماغك
- لا والله جاية بإذن الله وهحكيلك ... وهنشتري اللي انتي عاوزاه ... وهظبطك
- ماشي يا عم المهم ... أسيبك أنا لاشتغالاتك ... سلميلي على طنط
- الله يسلمك ... مع السلامة يا قمر
- سلام يا جميل ... مع ألف سلامة

أغلقت الهاتف ، وجعلته على الوضع الصامت ، حقيقةً لا أرغب الآن في استقبال أية مكالمات ، لابد أن أستعد جيداً للقاء الثلاثاء القادم ، حيث سنلتقي بالمجموعة التي شكلها الدكتور عاصم والتي تضم أربع شخصيات استطعت

أن أكون عنهم فكرة مبدئية بناءً على المعلومات التي قمت بحصرها من الملفات والتسجيلات الصوتية التي تمكنت من الإطلاع عليها :

ليلى ... ٤٠ سنة ... متزوجة ... لديها ولد وبنت ... حاصلة على ماجستير إدارة الأعمال ... تعمل مديرة موارد بشرية فى بنك أجنبى ... إنسانة منظمة جداً ... حياتها تسير مثلما القطار ... مواعيد ومحطات ثابتة لا مجال فيها للتغيير أو العبث ... طباعها حادة ... شديدة التسلط في عملها ... قد يكون ذلك سبباً أو نتيجة بعض المشاكل الزوجية ... تعاني من قلة اهتمام الزوج وبعض الاكتئاب ... ليس لها أصدقاء ... أم منظمة جداً ... تحب ولديها وتولي لهما اهتماماً كبيراً ... ليس لها أنشطة واهتمامات تذكر .

شيرين ... ٢٨ سنة ... مطلقة ... حاصلة على بكالريوس فنون تطبيقية ... عملت لسنوات قليلة في مجالات التصميم الداخلي والديكور حتى تزوجت من زميل لها واتفقا على أن تترك العمل من أجل البيت ... انفصلت بعد تجربة زواج قصيرة مريرة لم تتجاوز عامين ولم تثمر عن أطفال ... نشيطة واجتماعية جداً ... لها أنشطة خدمية تطوعية في عدد من النوادي والجمعيات ... تعاني من انعدام الثقة بالنفس والآخرين ... كثيرة الشكوك بسبب التجارب غير الناجحة التي مرت بها وآخرها الطلاق .

ميار ... ٢٢ سنة ... طالبة في الفرقة الرابعة بكلية الحقوق جامعة حلوان ... من أسرة غنية من محافظة الاسماعيلية ... تعيش خلال دراستها في بيت خالها "وحيد" موظف الأوقاف الذي يعتبرها واحدة من أبنائه ... مرت بتجربة شديدة القسوة حيث كانت مخطوبة لمعتز ابن خالها وحيد ، والذي مات في ظروف مأساوية ، الأمر الذي حول مسار حياتها من فتاة في قمة الالتزام الأخلاقي والتدين إلى مسخ بشري فوضوي شديد الغرابة شديد التناقض .

نادين ... ١٦ سنة ... طالبة في المرحلة الثانوية ... الأب عميد شرطة ... والأم مدرسة لغة فرنسية وقتها موزع ما بين المدرسة صباحاً والجيم مساءً ... لها اثنان من الأخوة أحدهما طيار مدني والآخر طالب في كلية هندسة البترول والتعدين ... الأسرة مفككة تماماً ... أغلب يومها على الانترنت سواءً على المحمول أو الكمبيوتر .. تكره من يتدخل في حياتها ويوجه لها النصائح ... متمردة على كل شئ ، جريئة إلى حد الوقاحة .

- حلو قوي الكلام ده ... و دي بقى شلة الأنس اللي الدكتور عاصم باشا جمعها كدة برابطة المعلم وقال إيه المفروض إني أتابع علاجهم معاه ... وأول العلاج ده إنهم يتعرفوا على بعض ... ويحبوا بعض ... ويساعدوا بعض كفريق وحد ... وعيلة واحدة ... طيب قوي الدكتور عاصم ده والله ... متخيل إن أربع ستات وأنا الخامسة بتاعتهم ممكن

نتفق ولو حتى على لون ستارة ... دول لو ربنا كرمهم واتعالجوا وخفوا واتفقوا مش بعيد يتفقوا عليك إنت يا عم عاصم ... أما نشوف آخرتها إيه معاكم يا شلة الأنس ... معانا يارب .

أخرجني من كل هذه التساؤلات صوت أمي "الحنون" الذي يسمعه كل جيراننا حينما تنادي علي :

- بسمة ... يا بسمة ... يلا يا بنتي الفيلم الأجنبي اللي إنتي عاوزة تتفرجي عليه هيبدأ
- أيوه يا ماما جاية اهو ... سامحني بقى يا دكتور عاصم ده توم كروز الغالي ابن الغاليين مش أي حد يعني ... وبعدين بصراحة أنا تعبت نفسياً من الناس الغريبة اللي إنت بتعالجهم دول
- يلا يا بنتي والله بدأ
- أيوه يا ماماااااا ... وادي اللاب توب قفلناه اهو ... عملتي الفيشار يا ماما ؟

وطبعاً لو كتبت لكم رد أمي على موضوع الفيشار لتسببت في تحطيم ما تبقى من صورتها الذهنية العظيمة في خيالكم !

الثلاثاء ٢ مارس ٢٠١٠ الساعة ٥:٣٠ مساءً

اللقاء المرتقب

يوم ملئ بالأحداث ... بدأ مع آذان الفجر ثم الذهاب إلى المدرسة والعودة سريعاً إلى المنزل حيث بدلت ملابسي وتناولت بضع لقيمات و نزلت سريعاً في الرابعة لحضور مراسم عقد قران زميلتنا العزيزة نرمين بمسجد النور في العباسية ... ومنه إلى المترو حيث اتجهت إلى المعادي لحضور الللقاء المرتقب الأول لمجموعة الموت التي شكلها الدكتور عاصم ... في تمام الخامسة والنصف كنت داخل العيادة ... المكان أكثر إضاءة وبهجة من ذي قبل ... ربما لأن هذا هو الحال أثناء استقبال الحالات ... الله أعلم ... ويبدو أن عم سليمان لديه حاسة سابعة مرتبطة بباب العيادة حيث بمجرد دخولي أجده يأتي مسرعاً لاستقبالي بابتسامته الحانية

- دكتورة بسمة ... اللهم صلي على النبي ... إيه الحلاوة دي
- عم سليمان بلاش إحراج أنا جاية جري من فرح واحدة صاحبتي واتهريت بصبصة
- أنا بقول برضه ده مش لبس شغل
- ليه هو دكتور عاصم بيتضايق من اللبس ده والميك آب ؟ أنا تقريباً مش حاطة حاجة والله ومليش في الميك آب من أصله
- لا مش للدرجة دي دماغك متروحش بعيد ... هو بس في بعض الحاجات كدة حنبلي شوية
- آه آه فهمت ... عامة دي مرة وخلاص ... طمني الدكتور موجود ؟

- آه طبعاً ... هتلاقيه في المكتب بيصلي المغرب دلوقتي ... ثواني أبص لك عليه

اعتراني بعض القلق من كلام عم سليمان بالرغم من أن ملابسي وشكلي غير مبالغ فيه ، قد يكون ضيقاً إلى حد ما وألوانه زاهية ولكنها المناسبة هي التي فرضت هذه الأشياء ، وهنا جاء صوت عم سليمان :

- اتفضلي يا بنتي

دخلت مكتب الدكتور عاصم قائلةً : السلام عليكم ... رد وهو منهمكاً في طي سجادة الصلاة و وضعها في مكانها : وعليكم السلام ، ثم استدار ناظراً إلى ، و ما أن رآني حتى ارتفع حاجباه دهشة وأطلق الصفير المميز الذي يطلق الشباب تعبيراً عن إعجابهم بفتاة مرت من أمامهم .

- إيه ده كله ؟ إيه ده كله ؟ لا إحنا هناخد على كدة بقى
- إيه بس يا دكتور متحسسنيش إني المرتين اللي فاتت كنت باجي بالبيجاما بقى
- "ضاحكاً" لالالا بيجاما إيه مش قصدي والله ... مستغرب بس ... انطباعي عنك إنك حد عملي قوي وملكيش في الجو ده
- والله أبداً يا دكتور ... ده كان فرح وأنا لسه جاية منه حالاً
- كمان أفراح ؟؟؟ لا واضح إنه يوم عالمي
- بالله عليك يا دكتور ... والله ربنا اللي يعلم أنا بروح الأفراح دي بالعافية ... بتحس كدة إنك مباراة في النفاق الاجتماعي والبصبصة الذكورية والأنثوية في آن واحد

- "ضاحكاً" طب ذكورية وعرفناها ... بصبصة أنثوية دي إزاي يعني ؟
- تعالى بقى وأنا أقولك ... أولاً لازم كل واحدة تبص على إيديا كويس ... لابسة الدبلة في اليمين ولا الشمال ؟ ... مش لابسة ؟؟؟ ... يا ضنايا يا بنتي ليه كدة ؟ ... يلا عقبالك ... والله إنتي عسل هم الشباب اتعموا ... يا إخواننا ارحمونا
- "ضاحكاً" والله إنتي طلعتي مشكلة ... كل ده ؟ ... بس بصراحة أنا مبسوط إنك جاية قبل معادك ... "ثم غمز بعينه" لا وبالشياكة دي كمان
- والله بقى يا دكتور بصراحة بقى اسمح لي إنت أمرك عجيب
- أنا ؟ إزاي ؟
- يعني ملتحي ... وبتهزر ... مش بتسلم بالإيد ... وبتسمع مزيكا ... بتحافظ على الصلاة في وقتها ... وعمال تعاكس بقى من الصبح ... متحفظ جداً وعامل لنفسك قواعد وخطوط حمراء و .... "هنا انتبهت إلى وجود علبة سجائر على المكتب" ... وإيه ده كمان ؟ سجاير ؟ بتشرب سجاير يا دكتور عاصم ؟ ... لا تعالى بقى حضرتك اتفضل على الشيزلونج

تعالت ضحكات الدكتور عاصم واحمر وجهه من كثرة الضحك ، وفي الحقيقة بالرغم من أن ضحكاته كانت مستفزة بالنسبة لي ولا تجيب على أسئلتي إلا أنني أحببت شكله الطفولي وهو غير قادر السيطرة على انفعاله وضحكاته

- كفاية كفاية حرام عليكي هتموتيني منك لله
- أنا برضه ؟؟؟ سوري بقى بصراحة أنا مش قادرة أفهمك

- إنتي جاية تعمليلي تحليل نفسي ولا إيه ؟
- مش قصدي يا دكتور .... أنا كان قصدي أ....
- ريحي دماغك ... أنا هجاوب بالتفصيل على كل ده ... بس خلينا الأول نجهز للقعدة الجاية
- أوك ... زي ما تحب

تغيرت لهجته وصارت أكثر جدية في لحظة واحدة واعتدل في جلسته قائلاً :

- على فكرة الأربعة موجودين هنا من بدري ... أنا عامل كذا مساحة هنا في العيادة للجلوس الحر ... العملاء بتوعي بييجوا في الوقت اللي يحبوه غير مواعيد الجلسات ... بيقعدوا يقرأوا ... يرتاحوا ... يدخنوا ... يلعبوا ... عاوزك تبقى تاخدي جولة هنا في المكان ... العيادة عبارة عن شقتين مفتوحين على بعض و ده مدينا مساحات كبيرة عشان الناس تاخد راحتها في المكان ومحدش يحس إنه غريب
- جميلة الفكرة
- أنا مرتب مكان محدد للقاءاتنا ... ومحدد شكل القعدة بحيث إنها تبقى على شكل دايرة كلنا شايفين بعض ... مريحة للكل ... فيه كراسي وفوتيهات وبين باج ... ولو عاوزين قعدة عربي موجودة كمان
- كويس جداً ... وأنا جاهزة يا دكتور
- في الربع ساعة دي لو حابة تقعدي مع نفسك أو تشربي حاجة أو تسألي في أي شئ أنا تحت أمرك ... ويا ريت قبل كل جلسة لو تيجي بدري ربع أو نص ساعة نرتب دماغنا مع بعض
- آه أكيد أنا عاملة حسابي على كدة ... اطمن .... هشرفك

- تمام جداً ... حلوة الروح دي ... وده اللي أنا محتاج له الفترة الجاية ... إحنا هنقعد كتير نسمع لهم سوا ونتفرج عليهم هم شايفين بعض إزاي ... وفي اللحظة المناسبة نمسك إحنا الدفة ونوجه السفينة في الاتجاه الصحيح
- إن شاء الله
- يعني جاهزة ؟
- جداً
- على بركة الله ... يلا بينا

خرجنا سوياً من باب مكتبه ... لأول مرة ألاحظ أن العيادة فعلاً بهذا الحجم ... كأننا في شركة كبيرة ... غرف عديدة ومساحات مختلفة بديكورات شديدة التباين ... منها المودرن والقديم ... الشبابي والبناتي ... المكان كأنه مصمم ليجد فيه كل إنسان - مهما اختلف – راحته ، دخلنا قاعة الاجتماعات التي حددها دكتور عاصم ... كانت كبيرة الحجم ... بها سبورة بيضاء وجهاز بروجيكتور كالمستخدم في عرض الأفلام والتقارير ... مائدة مستديرة حولها أربعة كراسي ... مكان جانبي للجلوس مجهز كما قال عاصم بعدد من الكراسي مختلفة الشكل والحجم واللون ... دخلنا قبل الحالات الأربع ... وفي تماما السادسة و دون سابق إنذار دخلت كل منهن واحدة تلو الأخرى ... بدون دعوى أو نداء وكأن البيت بيتهن فعلاً ... كل واحدة اختارت لنفسها المقعد الذي يلائمها ... و كانت هذه هي نقطة البداية .

- عاصم : طيب ... بسم الله الرحمن الرحيم ... منورين يا بنات
- شيرين : أهلاً يا دكتور

- عاصم : عاملين إيه ؟
- نادين : عادي ... قاعدين أهو
- ليلى : بنستكشف لسه الوضع
- عاصم : القعدة غريبة مش كدة
- ميار : لا غريبة ولا حاجة ... بس شبه جلسات علاج المجانين في الأفلام الأجنبية
- نادين "ضاحكة" : والله خدتيها من على لساني
- ليلى "بحدة" : مجانين ؟ ... إيه يا دكتور الكلام ده ؟
- عاصم "مبتسماً" : مدام ليلى متاخديش على كلام ميار ... هي بتحدف طوب بس طيبة والله
- ميار : إيه طنط عندها عريس ؟
- شيرين : دكتور عاصم لو سمحت فهمنا إيه الموضوع ... أنا بدأت أقلق
- عاصم "موجهاً كلامه لي" : منورة يا دكتورة بسمة ... مش عاوزة تقولي حاجة إنتي كمان ولا إيه ؟
- بسمة : هو حد مديني فرصة
- نادين "بسخرية": فرصة ؟ اتفضلي اتفضلي ... المايك الآن مع الدكتورة بسمة صاحبة الدكتور عاصم
- بسمة : صاحبة ؟
- عاصم "بحزم": نادين ... ميصحش كدة
- ليلى : سوري يا دكتور هي متقصدش
- نادين : مطلبتش من حد يدافع يعني

- ميار : دكتور أنا شايفة إن حضرتك عاوز تجرب حاجة والحمد لله واضح إنها فشلت قبل ما تبدأ
- شيرين "تهم بالوقوف" : دكتور عاصم أنا مضطرة أنسحب من الخناقة دي وهبقى أكلم حضرتك
- عاصم : ممكن نهدى شوية ... أنا هشرح لكم ... مهندسة شيرين لو سمحتي اقعدي
- ليلي : اتفضل يا دكتور ... قول
- ميار : يقول إيه ؟ ... ماهي باينة زي الشمس ... الدكتور شكله هيخلع مننا ويسلمنا لزميلته الجديدة
- عاصم : ممكن أتكلم بدون مقاطعة ؟
- شيرين : يا ريت
- عاصم : إحنا بقالنا فترة كبيرة مع بعض ... وكلكم عارفيني كويس ومفيش حد فيكم موجود هنا غصب عنه
- نادين : إلا أنا ... وحضرتك عارف
- عاصم : مظبوط ... كلكم هنا بمحض إرادتكم إلا نادين ... أنا خاطفها
- شيرين : خاطفها ؟
- عاصم : بهزر بقى ... قلت محدش يقاطعني لو سمحتم ... إحنا مع بعض بقالنا شهور ... وخلال الفترة اللي فاتت حصلت لنا كلنا حاجات إيجابية ... وكتير من مشاكلنا أصبح ليها حلول ممكنة ... و ده شيء محدش يقدر ينكره ... و دلوقتي بقينا نقدر نعتمد على نفسنا
- ليلى : أفهم من كدة إنه دي مباراة اعتزال ؟ أو حفل ختام نشاط ؟

- بسمة : إطلاقاً ... دكتور عاصم بيحاول يوصل لنا إننا مش هنعيش حياتنا كلها نتعالج ... أي حد رياضي بيحصل له إصابة لازم يمر بفترة علاج طبي ... علاج طبيعي ... تمرينات خفيفة لوحده ... وبعدين بيبدأ ينزل يتمرن مع زمايله على خفيف ... ويكمل تأهيل معاهم لحد مايوصل لمستواه

لمحت في عيني عاصم إعجاباً شديداً بتدخلي وكلامي مما دفعني لمواصلة الكلام :

- بسمة : إحنا ستة موجودين هنا في القاعة ... مجموع أعمارنا يعدي ٢٠٠ سنة ... مجموع شهاداتنا محتاج مذاكرة سنين طويلة ... خبراتنا لو حطيناها جنب بعض ممكن تكسر الدنيا ... الفكرة بقى هي إنه ليه الإنسان يعيش لوحده لما ممكن يعيش في مجموعة ... فريق ... عيلة ... يتبادل معاهم خبراته ... من غير ما يكون فيه نمطية وروتين وحقوق و واجبات ... كلنا نقرب من بعض ونفيد بعض
- عاصم : عاوز أكمل على كلام دكتورة بسمة وأقول إنه الإنسان كائن اجتماعي ... بياكل ويشرب ويحب ويكره ويتعب ويتعالج وسط مجموعة ... أسهل كتير من إنه يعمل كدة لوحده
- شيرين : اسمحلي يا دكتور ... واختيار المجموعات تم بناءً على إيه ؟
- ليلى : مظبوط فعلاً ... يعني أكيد فيه مجموعات تانية ...والمفروض نتقسم على أساس معايير واضحة ... زي السن والمؤهل والخبرات
- بسمة "محاولة تخفيف حدة الحوار" : الكلام ده ممكن لو إحنا شركة توظيف يا فندم

- ليلى : والله أنا شايفة إنه استفساري منطقي وأتمنى إن دكتور عاصم يوضحلي بنفسه
- عاصم : طيب أوكي ... أنا هقول لحضرتك ... أولاً قصة المجموعات التانية دي حاجة مش هقدر أجاوبك عليها لأنه بكل تأكيد أي حد برة الاجتماع ده ميعرفش أي حاجة عنه ... بالمثل أي حاجة بالشكل ده مش هقدر أدي عنها معلومات إلا لأصحابها
- شيرين : كلام منطقي
- عاصم : نيجي لنقطة الاختيار تم بناءً على إيه ... أنا هأجل إجابة السؤال ده شوية ... يعني تقدروا تقولوا إن إحنا كلنا في مرحلة اختبار قصيرة جداً ... لو تمت على خير هصارحكم بكل حاجة زي ماحنا متعودين مع بعض على الصراحة المطلقة
- نادين : يعني في الآخر مجاوبتش على حاجة ... برافو بصراحة
- ميار : والمطلوب مننا ؟
- بسمة : المطلوب إننا نتقابل ... نتعرف على بعض ... إحنا مجموعة مفيش بيننا أي احتمال لأي مصلحة مشتركة من دراسة أو بزنس و ده هيقلل كتير من احتمالات الشك والريبة بيننا وبين بعض ... زي ما بنكلم حد على الشات ونفضفض له عشان واثقين إنه لا هيشوفنا ولا نشوفه
- نادين : شكلك مذاكرة كويس
- ليلى : وأنا المفروض إني اتكلم وأحكي وأتعلم منكم وإنتم في عمر ولادي ؟

- ميار : وإنتي ليه متخيلة إنه عشان عندك خمسين سنة تبقى فاهمة في كل حاجة ؟
- ليلى : خمسين ؟ ... لو سمحتي اتكلمي بأسلوب أحسن من كدة ... خليكي محترمة
- ميار : أنا محترمة غصب عن أي حد
- شيرين : مدام ليلى خلاص هي متقصدش
- نادين : ميار ... روق ياعم مش كدة
- ميار : إنتي مش شايفة أسلوبها
- عاصم "وقد أصابه الضجر" : خلصنا خناق ولا لسه ؟
- شيرين : أنا مش مرتاحة يا دكتور للحوار ده من أوله
- بسمة : ممكن ندي نفسنا فرصة نفكر كناس ناضجة شوية ؟
- ليلى : ناضجة إيه يا حبيبتي ... إنتي مش شايفة الطريقة ؟
- عاصم : من فضلكم ... كفاية تهريج بقى ... الموضوع خلاص انتهى
- بسمة : لا يا دكتور انتهى إيه بس ؟ ... لو سمحتم يا جماعة ... اقعدوا عشان خاطري
- ميار : أنا مستحيل أفضل دقيقة واحدة ....

فجأة سمعنا صوت عم سليمان يطرق الباب مستأذناً في الدخول

- عم سليمان : دقيقة لو سمحت يا دكتور
- عاصم : خير يا عم سليمان ... مش عادتك يعني تدخل لي وأنا بشتغل

- عم سليمان "محاولاً خفض صوته" : عارف والله يا دكتور بس فيه ولد بتاع دليفري بيقول جاي من عند حلواني "مونجيني" ومعاه علبة وحاجات ...

هنا تنبهت فقمت مسرعة وأنا أحمد الله في سري على دخول عم سليمان في هذه اللحظة

- بسمة : أيوه يا دكتور ده عاوزني أنا
- عاصم : عاوزك إنتي ؟ ... إنتي بقيتي بتستقبلي ناس هنا كمان بالسرعة دي ؟
- سليمان : ولسه
- بسمة "ضاحكة" : دقيقة واحدة بس يا دكتور وراجعالك ... تعال ياعم سليمان وريني إيه الحكاية

وبعد دقيقة أو أكثر قليلاً دخلت غرفة الاجتماعات أحمل التورتة التي كنت قد طلبتها مسبقاً ، وخلفي عم سليمان حاملاً عدد من الأطباق والعصائر

- عاصم : فيه إيه يا دكتور بسمة ؟
- عم سليمان : الدكتورة بسمة جايبة تورتة وأنا الدكتور بتاعي مانعني من الحلو ... يرضيك كدة ؟
- ليلى : تورتة ؟ وإيه المناسبة ؟
- بسمة : تورتة يا فندم ... هتكون إيه المناسبة يعني ؟ ... عيد ميلاد طبعاً
- ميار : دي جاية تعمل عيد ميلادها هنا ... قلشت منك دي يا دكتور ... إحنا ماشيين أصلاً

- بسمة : ومين قال إنه عيد ميلادي أنا ... "ثم تابعت وأنا أنظر إلى عيني نادين مباشرة" ... ده عيد ميلاد نادين
- شيرين : بتهزري ... "ثم وجهت كلامها إلى نادين" ... إنتي عيد ميلادك النهاردة

كانت نادين – كعادتها دائماً – منذ أن دخلت غرفة الاجتماعات وحتى هذه اللحظة تضع سماعات الأذن وتنظر بين الحين والآخر إلى هاتفها المحمول تتنقل بين الصفحات والملفات حتى أثناء نقاشنا ... وكأنها غير عابئة بما يدور حولها ... إلا أنني حينما قلت "عيد ميلاد نادين" نظرت إلى في ذهول ... خلعت السماعات من أذنيها ... نظرت إلى الهاتف لتتأكد من التاريخ ... وضعت يدها اليسرى على فمها لتكتم شهقة أوشكت على الخروج ... وفي أقل من جزء من الثانية اغرورقت عيناها بالدموع ... وبدت شديدة الضعف والارتباك على غير عادتها ... كل هذا المشهد لم يستغرق إلا ثوان معدودة ... إلا أن منظر نادين قلب كياننا جميعاً رأساً على عقب ... لدرجة أنها عندما لاحظت ذلك أخذت تلملم أوراقها لتهم بالانصراف ... جرت "شيرين" وراءها مسرعة وأمسكت يدها ... وتبعتها أنا وليلى لنحاول إنقاذ الموقف ... والدكتور عاصم يراقب اموقف وكأنه تمثال من الشمع

- نادين : متمسكيش إيدى لو سمحتي
- ليلى : مالك يا نادين حصل إيه يا بنتي
- نادين : أنا مش بنتك ... محدش له دعوة بيا
- بسمة : طب فهميني أنا عملت إيه غلط ؟

- نادين "في قمة الانهيار" : إنتي مش فاهمة حاجة ولا هتفهمي حاجة ... حرام عليكي عملتي كدة ليه ؟
- شيرين : إهدي بس يا نادين عشان نعرف نتكلم
- نادين : أنا لا عاوزة أتكلم ولا عاوزة أعرفكم أصلاً ... أنا ليا كلام تاني مع ماما ... شكراً قوي يا دكتور عاصم
- بسمة : طب ممكن تهدي عشان خاطري
- نادين : عاوزة مني إيه تاني ؟
- بسمة : كل ده عشان جبت تورتة وعاوزة نحتفل سوا ؟
- نادين "تمسح دموعها وتظهر قليلاً من الثبات" : إنتي عارفة إمتى آخر مرة اتعمل لي عيد ميلاد ؟ ... إنتي عارفة إمتى آخر مرة حد افتكر عيد ميلادي أصلاً ... بلاش أحسن
- شيرين "محاولة المزاح" : طب و ده جزاءها يعني إنها عبرتك ؟ إنتي معندكيش دم على فكرة
- ليلى : ولا إحنا مينفعش نحتفل معاكي ... عشان عندنا خمسين سنة
- ميار " تتدخل لأول مرة" : ما خلاص بقى يا لولا ميبقاش قلبك أسود
- ليلى : لولا مين ياللي ....
- بسمة : بلاش والنبي أبوس إيديكم
- ميار : خلاص يا مزة عشان خاطرك إنتي بس والله
- شيرين : حلوة مزة دي

- ميار "موجهة كلامها لنادين" : بت إنتي ... لو فاكرة إن الدمعتين دول هيقفلونا وتضحكي علينا وتلهفي التورتة لوحدك تبقى بتحلمي ... أنا قتيلة التورتة دي النهاردة
- نادين "ضاحكة رغم الدموع" : والله إنتي باردة
- عم سليمان : ماتخلصونا بقى في ليلتكم دي ... هناكل ولا نمشي
- عاصم : ده فيه حد عزم نفسه في الزحمة بقى
- نادين : لا كله إلا عم سليمان ... ده أول واحد ... وهو اللي هيقطع التورتة كمان
- عم سليمان : ربنا يجبر بخاطرك يا بنتي ... "ونظر إلى هامساً" ... واحد صاحبنا اتكبس
- بسمة "ضاحكة" : طب حلو كدة قوي ... يلا بقى ورونا الهمة عاوزين حفلة محصلتش

وكأن تورتة نادين هي العصا السحرية التي جمعت الشمل ... الكل يساعد الكل ... عاصم في قمة السعادة وعيناه لا تفارقني بنظرة كلها إعجاب وفخر ... عملنا الحفلة وقطع عم سليمان التورتة ... أكلنا وشربنا وتبادلنا الحكايات والنكات ... وفي تمام التاسعة تبادلنا أرقام الهواتف ... وتبادلنا السلام بعد تأكيد الموعد القادم ... غادرت الواحدة تلو الأخرى ... كان آخرهم ميار التي قالت وهى تسلم علي :

- ميار : بس طلعت صايعة قوي منك حكاية التورتة دي
- بسمة : يعني عجبتك ؟
- ميار : جداً ... كانت مفاجأة بصراحة لينا كلنا

- بسمة : طب الحمد لله
- ميار : وليه هو كمان ... "وغمزت بعينيها مشيرة إلى دكتور عاصم" ... قوليله يخف شوية عشان مفقوس قوي

هنا سمعنا الدكتور عاصم ينادي :

- عاصم : ميار ... سجايرك ... مش كل مرة تنسي تاخديها "قالها وهو ينظر إلي"
- ميار : ماتغلاش عليك يا دكتور ... مع إني عارفة إنك ملكش فيها
- بسمة : هي دي علبتك انتي ؟
- ميار : إيه عاوزاني أبطل إنتي كمان ؟
- بسمة : تبطلي إيه يا شيخة ؟ ... دي جميلة والله ... تعالي في حضني حبيبتي
- ميار : والله انتي شكلك لاسعة وعاملة لنا فيها دكتورة
- بسمة : إنتي خدتي عليا بسرعة قوي على فكرة
- ميار : والله شكلي هحبك ... ربنا يعينك يا بنتي
- بسمة : لا متخافيش عليا
- ميار : يلا على معادنا ... سي يو
- بسمة : سي يو ورحمة الله و بركاته

بعد مغادرة ميار حرص دكتور عاصم على النزول معي وأوصلني بسيارته إلى محطة المترو ... كان منبهراً بطريقتي واستغلالي لمناسبة عيد ميلاد نادين والفارق الذي حدث ... تبادلنا الكلام والسلام ... و عدت إلى المنزل

حيث كانت والدتي الحنون تنتظرني بفارغ الصبر كي أعطي لها تقريراً مفصلاً عن كتب كتاب نيرمين يتضمن عدد الحاضرين وشرائحهم العمرية وحالاتهم الاجتماعية واحتمالية الفوز بعريس من الجماهير الغفيرة التي كانت تتابع بشغف ست الحسن والجمال ... ابنتها بسمة .

الثلاثاء ٩ مارس ٢٠١٠ الساعة ٦ مساءً

يوم الفضفضة

كان اللقاء الأول بمثابة قفزة الثقة بالنسبة لي ... فقد استطعت – بفضل الله – أن أحقق عدداً من المكاسب في أولى جولاتي في معركتي أو لنسميها مباراتي على ملعب الدكتور عاصم ... استطعت أن أكسب ثقة الدكتور عاصم ... نجحت في إدارة الفريق الجديد ولو للحظات ... قطعنا شوطاً مهماً في التعارف والتآلف بين المجموعة كلها ... وقبل أن ينتهي الأسبوع كنا قد بدأنا نتبادل المكالمات والرسائل ولو لمرة واحدة على الأقل .

وفي السادسة من مساء الثلاثاء – كما هو معتاد – كنا نجلس جميعاً في نفس المكان السابق إلا أنه كان من الملاحظ اختفاء النظرات الحادة والجو الحذر الذي كان سائداً في بداية الجلسة الماضية ، وبعد قليل من الدردشات والهمهمات افتتح الدكتور عاصم جلسته وكان هذا الحوار .

- عاصم : النهاردة بقى عاوزين نبدأ رحلتنا مع بعض ... هنعمل حاجتين اتنين بس طول اليوم ... أول حاجة هنبدأ بالتعارف ... كل واحدة فيكم زي الشاطرة هتطلع على المسرح لمدة ٢٠ دقيقة مثلاً ... تعرفنا بنفسها ... تقول أي حاجة حابة إنها تقولها ... وبعد ما تخلص كل واحد فينا هيسألها سؤال واحد بس ولازم تجاوب عليه ومفيش أي شروط أو قيود على الأسئلة ... بعدما نخلص الفقرة دي هنلعب لعبة بسيطة مع بعض ونفنش ونمشي على طول ... اليوم دسم جداً فمش عاوزين نضيع وقت

... ودلوقتي بقى حد مين تحب تتطوع وتنور مسرحنا المتواضع ؟ ... ولا اختار أنا بنفسي ؟

ساد الصمت قليلاً مع تبادل النظرات الباسمة المترقبة إلا أن الجبن سيد الأخلاق كما يقولون ، فلم تبدي أي منهن استعدادها للمغامرة ، هنا أشار عاصم إلى نادين وبلهجة مسرحية آمرة : اتفضلي يا نادين ... حيوا معايا نجمتنا نادين يا جماعة "وصفق لها وصفقنا بدورنا جميعاً"

- نادين : ماشي يا دكتور ... بتضحي بيا أنا ؟ ... أوك أوك
- عاصم : ده أنا عاوز مصلحتك والله ... عشان لم يفتروا عليكي بالأسئلة تعرفي تنتقمي منهم
- نادين : تصدق صح
- ميار "ساخرة" : هبلة قوي
- نادين : شيليني من دماغك أحسن لك
- ميار : ولا تعرفي تعملي حاجة
- شيرين : يلا يلا بلاش تضييع وقت ... الدكتور قال وقتنا ضيق
- نادين : أوك ماشي ... هتكلم وأنا قاعدة مكاني ولا أطلع على السبورة ولا إيه دماغكم ؟
- بسمة : اللي يريحك ... زي ما تحبي
- نادين : أوك خليني قاعدة في مكاني بكرامتي أحسن ... بصوا بقى أنا هتكلم مرة واحدة محدش يقاطعني ... ولما أقول خلاص ابقى اسألوا ... ديل ؟
- بسمة : ديل ... انجزي بقى

اعتدلت نادين في جلستها ... وأغمضت عيناها للحظات أخذت فيها نفساً عميقاً وأخرجته بهدوء وكأنها تبدأ تمرين اليوجا ... ثم فتحت عيناها الواسعتين ... وبدأت تحكي :

- اسمي نادين فؤاد ... عندي ١٧ سنة ... وأسبوع عشان خاطر الناس اللي بتدقق ... أنا اتولدت في الدقي لكن قبل دخولي المدرسة جينا المعادي واستقرينا هنا عشان كدة أنا بعتبر نفسي من المعادي غير بابا وماما وإخواتي اللي عاشوا في الدقي سنين ... بابا ظابط كبير وهيبقى لواء قريب في الحركة اللي جاية زي ما بيسموها عندهم ... بيشتغل في حاجة كدة من اللي بيقولوا عليها جهات سيادية ... حياته شغل وبس ... ولو فيه وقت يبقى في نادي الصيد مع أصحابه ... هو تقريباً مولود هناك ... وهناك اتعرف على ماما ... سوزان والي ... اللي كانت ملكة جمال النادي واتجوزها وهي لسه في تانية أداب ... ماما مدرسة فرنساوي ... جميلة وشيك ولسه محتفظة بلياقتها وأناقتها حتى الآن ... متصدقوش أبداً إن ليها ابنين واحد طيار والتاني مهندس بترول والتالتة الفاشلة اللي قاعدة معاكم دلوقتي ... إحنا أسرة شكلها شيك قوي في أي مناسبة أو فرح بنطلع في الصور حاجة كدة تشرف ما شاء الله ... سيادة اللواء وحرمه البرنسيسة وولادهم الطيار والمهندس ... بس كل ده فترينة ... منظر بس ... لكن جواه مفيش لا لون ولا طعم ولا ريحة .

صمتت للحظات تناولت خلالها رشفة من كوب الماء الموضوع أمامها ، ثم تابعت بلهجة حادة :

- إحنا أسرة زبالة ... متستغربوش أنا مش بنت جاحدة ولا مجنونة ... بس بجد إحنا شوية ناس كدة ملهمش علاقة ببعض الظروف حكمت عليهم يعيشوا تحت سقف واحد بغض النظر عن أي مشاعر بينهم وبين بعض ... ده لو فيه أصلاً ... الأب سادي لأبعد الحدود من صغره في النادي بيسموه الجزار لأنه كان بوكسير من صغره ومفيش حد بيلاعبه إلا ولازم يطحنه ... بطل النادي والجمهورية في البوكس ... واللقب اتنقل معاه الكلية والشغل والبيت كمان ... أغلب الوقت برة البيت ... سهر وسفريات ومأموريات جوه وبرة مصر لدرجة إن ماما زمان كانت بتشك إنه متجوز عليها ... لحد ما حصلت الحادثة اللي طمنتها إنه فعلاً مكانش بيكدب ... من يومها لحد دلوقتي وهي مطمنة ... مطمنة جداً حتى لو حلف لها على المصحف إنه مسافر مع ٢٠ واحدة وبايت معاهم في سرير واحد .
- بسمة : للدرجة دي الحادثة طمنتها ؟ مش فاهمة حادثة إيه اللي تطمنها بصراحة
- نادين : اصبري اصبري لسه التقيل ورا ... بابا يا ستي خير اللهم اجعله خير كان بيطلع كتير مأموريات شغل في سينا ... المأموريات اللي بيمسكوا فيها الإرهابيين وتجار السلاح والمخدرات وأعداء الوطن والكلام بتاع نشرة تسعة ده ... بابا وكام واحد من زمايله مش كلهم بصراحة كانوا بيحبوا الشغل ده قوي ... يمسكوا الناس دول وينفخوهم هم وأهاليهم ... مش فارقة بقى رجالة من ستات ... بيعملوا فيهم كل ما يخطر على بالك ... بيذلوهم ويكسروا عينهم قصاد أهاليهم بأوسخ

الطرق اللي ممكن تتخيليها ... واحد بقى من زباين بابا حب يرد له الجميل أصل بابا ذله قدام مراته و خللى رجالته يغتصبوها قدام عنيه .

- ميار "منفعلة" : كفاية
- نادين "وكأنها لم تسمع ميار" : الراجل ده بعدما أفرجوا عنه فضل ٣ شهور مراقب بابا لحد ما شافه مرة نازل من الاستراحة بتاعته في العريش وطلع مسدسه وضرب منه طلقتين اتنين ... واحدة على بابا ... والتانية انتحر بيها
- ليلى : كان ناوي على موته ابن الكلب بس ربنا نجا باباكي
- نادين "ضاحكة" : لا خاااااالص ... ده كان واد معلم ... لقاها خسرانة خسرانة وكدة كدة ميت قام معلم على بابا العلامة اللي تكسر عينه و يفضل فاكرها لحد ما يموت
- شيرين : علامة إيه ؟
- نادين "بضحك هيستيري" : أنا أقولك ... بابا بعد الحادثة نقلوه فوراً على المستشفى وخلال ٢٤ ساعة سفروه انجلترا ... وبعد ٣ شهور رجع بالسلامة الحمد لله ... مع الفرق طبعاً ... هو سافر طارق باشا الجزار ... ورجع لنا سوسن .

عند هذه النقطة فهمنا جميعاً ما حدث وتباينت ردود أفعالنا ما بين الخجل والأسى لحال والد نادين ... إلا ميار التي شاركت نادين ضحكها الهستيري بشكل مبالغ فيه

- ميار : يابن الجزمة ... هو إدهاله فين ؟

- نادين : عيب بقى ده كلام كبار فيه بنات قاعدين معانا "مشيرة بعينيها إلى ليلى وشيرين
- ليلى : مش فاهمة بصراحة فرحتك دي ، بجد مش لاقية لك مبرر
- شيرين : بصراحة آه ... ده باباكي يا بنتي
- نادين : بابايا ؟ جايز ... والله حتى دي مش متأكدة منها
- عاصم : نادين ... إحنا قلنا قبل كدة مفيش تجريح ولا تجاوزات ... وإنتي عارفة النظام
- نادين : سوري يا دكتور... بس من حق جمهوري يعرف ... مش إنت اللي اختارتني استحمل بقى
- بسمة : كملي يا نادين
- نادين : أوك : بعد الحادثة ناس كتير نصحوا بابا يغير من حياته شوية ... يسيب الشغل أو نغير بيتنا ... أي تجديد ... بالفعل جينا المعادي ... لكن فضل بابا في الشغل والحياة بنفس العنف والقسوة ويمكن أكتر
- ميار : مش بيحرم الراجل ده
- نادين : وبالتأكيد حياتنا كلها اتغيرت ... وأولنا ماما ... وإخواتي ... وأنا ... بابا بقى زي الكلب المسعور معندوش استعداد يتناقش في حاجة ... من وقت للتاني يجيب لماما هدية غالية عشان يعوض بيها عجزه ... ويومين بالكتير يرجع للزعيق والضرب وتكسير أي حاجة في البيت ... لو شاف اتنين في البيت بيتكلموا ويضحكوا يفتكرهم بيتكلموا عليه ... بقينا نخاف نقعد مع بعض طول ماهو في البيت ... واتعودنا على كدة ... مبقيناش نتقابل إلا في المناسبات ... كل واحد ليه شغله

ودراسته وحياته ... عاوزة فلوس يا ماما ... خدي ... عاوزة فلوس يا بابا ... خدي ... وكأنهم كدة بيرضوا ضمايرهم إنهم مش مقصرين معايا ... محدش يعرف أنا عايشة إزاي أو مصاحبة مين ... لحد ما في يوم من الأيام ... سماح اللي بتظف لنا الشقة من وقت للتاني لقت في أوضتي شريط برشام و راحت مدياه لماما

- ميار : برشام إيه ... حبوب منع الحمل ؟
- نادين "ضاحكة" : آه يا زبالة ... لا لسه مش مستعجلة بصراحة
- بسمة : برشام إيه يا نادين
- نادين : برشام عادي من اللي الناس بياخدوه عشان يروقوا على نفسهم شوية
- ليلى : مخدرات ؟
- نادين : مش بالظبط يعني ... حاجات كدة بتخليني أنسى وأضحك بس مش إدمان يعني
- شيرين : وعملت إيه ماما لما عرفت ؟
- نادين : عملت كأنها أم بقى وحبت تعيش عليا الدور ... استنت لما أنا رجعت من برة ودخلت عليا الاوضة قال يعني بتواجهني بالجريمة اللي عملتها
- ليلى : أنا لو منها كنت قطعتك حتت ... مخدرات ؟؟؟
- نادين : قالتلي ممكن أعرف البرشام ده بتاع مين ؟ ... قلتلها بتاعي أنا ... فيه حاجة ؟
- ميار : معلم

- بسمة : كدة على طول ؟
- نادين : ردت قالتلي وبتقوليها في وشي يا بنت الكلب ؟ ... والله لما ييجي أبوكي لأنا قايلة له خليه يدفنك هنا مكانك ... قلتلها قوليله ... بس أنا كمان هقوله ... قالتلي هتقوليله إيه ؟ ... قلتلها هقول له إنك مصاحبة
- عاصم : نادين ... الكلام ده لو كدب أنا مش هعديهالك
- نادين : والله العظيم ما بكدب ... إنت فاكر إن ماما لما جابتني هنا قالت لك كل حاجة ؟ ... كنت عاوزها تقول لك إيه غير إني معقدة ولساني تقيل وحاولت أنتحر ها ؟ ... كنت فاكرها إنها هتقولك إنها كل يوم مع واحد ؟؟؟
- ليلى : يا بنتي مش كدة ... دي مهما كانت ماما
- نادين : ماما آه ... ماما اللي لما واجهتها بفضيحتها ضربتني بالقلم ... قمت ضارباها قلم زيه بالظبط ... فضلت تضرب فيا وأنا عمال أعد لها الرجالة اللي هي عرفتهم من أول مسيو رمزي زميلها لغاية كابتن مراد اللي بتروح له الجيم بتاعه كل يوم ... ضربتني علقة موت ... وحبستني في أوضتي وأخدت موبايلي واللاب بتاعي ... حسيت إنها ناوية تموتني فكرت في الهروب ... فتحت الشباك ونطيت ... وقعت من الدور التاني ... رجلي اتكسرت ودراعي والترقوة ... قعدت كتير في المستشفى مش بنطق ولا اتكلم ... وماما كل يوم تيجي تقعد معايا شوية وتمشي ... حلفت لي إنها اتغيرت وبقت كويسة لكن أنا عارفة إنها بتضحك عليا ... طلعت من الحادثة بشوية مشاكل وعشت لهم دور المجنونة وإني لساني تقل

- عاصم : يعني كنتي بتضحكي علينا ؟
- نادين : إنت الوحيد يا دكتور اللي بتكلم معاه بصراحة ... ودلوقتي انتم كمان
- ميار : ثواني بس ... وسيادة اللواء فين من الحواديت دي ؟؟؟
- نادين : ماما لما اتجوزت بابا كانت شايفة فيه الراجل الكامل ... ظابط ... رياضي ... وسيم ... مهذب ... من عيلة ... حد كدة ولا في الأحلام ... لحد ما لبست في الحيط ... ولقته حيوان شغله هو حياته ... بيسيبها بالشهور ولا حتى بيعبرها بكلمة ... فكان لازم تغلط خاصة وهي شايفة نفسها سكسي والرجالة هيتهبلوا عليها ... أول واحد كان مسيو رمزي زميل ماما في الشغل وتقريبا اتفق مع ماما إنها تطلق ويتجوزها ... بابا عرف ... نفخ ماما ... ومسيو رمزي اختفى محدش عرف هو راح فين
- ميار : ورا الشمس ... معروفة يعني
- ليلى : ولما الموضوع اتكرر إزاي قبلوا يعيشوا سوا بالشكل ده ؟
- نادين : لعدة أسباب ... أولاً الشكل الاجتماعي للاتنين ... لازم نحافظ يا جماعة على شكلنا الشيك قدام الناس ... سيادة اللواء مينفعش يطلقها لأنه كدة هيأكد الإشاعات اللي بتقول إنه بقى مبيعرفش ... حرم سيادة اللواء برضه مهم بالنسبة لها تفضل في نفس المكانة والهيبة
- شيرين : وإخواتك ؟ حد حاسس بحاجة ؟
- نادين : سيف شبه بابا ... عامل زيه بالظبط ... نفس القسوة والأنانية ... وجوده في البيت زي عدمه ... لكن فارس ... ده الوحيد اللي ممكن

يتقال عليه إنسان في البيت ده ... بني آدم محترم عارف ربنا ... بيصلي وبيصوم في رمضان حتى أصحابه محترمين زيه ... مش بيدخن ومثقف جداً ... قاللي مرة إنه ماشي مع التيار الإسلامي في الكلية ... أصل أنا الوحيدة في البيت اللي بيقعد يتكلم معاها ... بينصحني كتير بالحجاب والصلاة وكدة بس مش خنيق يعني ... بيحبني وبيخاف عليا جداً ... احتمال يكون عارف ... بس حتى لو مش عارف هو أصلاً كاره البيت كله .

- ميار : ده أكيد مكفر البيت كله يا بنتي ... اسأليني أنا
- نادين : احتمال كبير
- ليلى : وعلاقتك بماما عاملة إيه دلوقتي ؟
- نادين : من ساعة ما عريتها قدام نفسها وهي بتتحاشى نظراتي ... أكيد مش حاسة بالذنب لأنه مفيش حاجة أصلاً بتفرق معاها ... ممكن تكون خايفة مني ... و ده اللي كاسرها قدامي ... على قد مانا بحب فكرة إنها خلاص مبقاش ليها كلمة عليا ... على قد ساعات ما بتصعب عليا ... أنا أصلاً مبقيتش فاهمة هي مجرمة ولا هي ضحية بابا ... بابا اللي المفروض يكون هو القدوة والمربي بقى هو كل نارنا وعذابنا .
- شيرين : وجيتي هنا إزاي ؟
- نادين : بعدما عشت لهم في دور المجنونة وهددت ماما أكتر من مرة بالهرب أو الانتحار ... فيه حد من زمايلها اقترح عليها إنها تجيبني هنا عند الدكتور عاصم ... هو أصلاً مدرس عربي وساكن هنا في نفس العمارة في الدور التامن ... فأنا باجي هنا على أساس إني عندي درس

عند مستر عبد الله ... فهتلاقوني كدة كل تلات جاية بكتاب وملازم العربي اللي بطلع آخدها من عند مستر عبد الله وأنزل لكم على طول

- عاصم : فاكرة أول يوم جيتي هنا ؟
- نادين : و دي حاجة تتنسي ؟ .... كان منظري زبالة طبعاً ... إيدي في الجبس وإيدي التانية ماسكة العكاز وعمالة أعرج ومش عارفة أتكلم ونص حروفي طايرة
- عاصم : ماهي طلعت اشتغالة بقى
- نادين "ضاحكة" : الكلام آه لكن مفيش هزار في الجبس والشرايح والمسامير يا دكتور
- عاصم : ماشي يا ستي ... خلاص كدة ؟
- نادين : أنا بقالي كتير قوي بأتكلم ... و دي محصلتش من سنين ... وأظن أنا جاوبت على أسئلتكم قبل ما تسألوها ... ولا فيه حد له رأي تاني ؟

لم يكن لدي أي أسئلة ... كذلك الحال بالنسبة لليلى وشيرين ... أما ميار فقد اخترقت جدار الصمت قائلة : أنا عندي سؤال .

- نادين : أوكي بس بشرط ... إنتي اللي تطلعي بعدي
- بسمة : دكتور عاصم قال مفيش قيود ولا شروط
- ميار : أنا موافقة ... معنديش مشكلة ... سؤالي هو : شايفة نفسك فين في المستقبل ؟
- نادين : في جهنم وش ... مش عاوزة كلام
- شيرين : أعوذ بالله ... حرام عليكي

- ميار : أوكي هعتبرها إجابة يا فاشلة ... بس تبقى ترحمي أمي لما تسألي
- نادين : انسي يا روحي ... يلا اطلعي ع المسرح محدش هيسأل تاني ... دورك
- عاصم : لالالالالا إحنا نطلع فاصل الأول ... نادين وبعدها ميار ... خبطتين في الراس توجع ... إحنا مش قدكم ... عشر دقايق بريك ونرجع نفس أماكننا ... يلا فركش

انطلقنا إلى ركن المشروبات الذي حرص عم سليمان على إعداده مسبقاً ... وبنظام اخدم نفسك بنفسك أعد كل منا المشروب الخاص به ... وفي هذه الأثناء تشكلنا على هيئة ثنائيات دون اتفاق مسبق ... وتبادلنا الأحاديث الجانبية ... عاصم وليلى ... ميار ونادين ... وشيرين وأنا

- بسمة : إيه البت دي ؟ ... دي كارثة
- شيرين : بيتهيألك ... دي غلبانة والله
- بسمة : غلبانة ؟ ... دي مجرمة ... مش شايفة بتتكلم عن باباها ومامتها إزاي ؟
- شيرين : ماهم برضه مش ملايكة يا بسمة
- بسمة : على رأيك
- شيرين : لو بصيتي للموضوع من زاوية مختلفة هتلاقيها هي المجني عليها مش الجاني
- بسمة : مش هختلف معاكي ... بس متنسيش إنه ليها اخ في نفس الظروف لكن أخد خط مختلف ومستسلمش للظروف

- شيرين : أوك بس برضه الولد مش زي البنت ... وقابليتهم للتأثر مش واحدة
- بسمة : أكيد
- شيرين : والله ولا كنت بطيق منظرها ... بس لما عرفت حكايتها صعبت عليا
- بسمة : كلنا صناديق مقفولة ... ياعالم جوانا إيه وبنبين إيه ونداري إيه

هنا صاح الدكتور عاصم مشيراً إلى ساعة الحائط ومعلناً انتهاء فترة الراحة وبداية فقرة ميار .

- ميار : أنا ميار رضوان ... ٢٢ سنة ... رابعة حقوق حلوان ... بابايا محمود رضوان من أكبر تجار قطع غيار السيارات في الاسماعيلية ... راجل عصامي بنى نفسه بنفسه ... اشتغل في اسكندرية وبورسعيد والقاهرة ... وهنا اتعرف على خالي وحيد واتجوز أخته ... اللي هي أمي طبعاً ... ورجع بيها على بلده الاسماعيلية ... عاشوا سوا وربنا رزقهم ببنتين وولدين ... أنا أكبر إخواتي ... ماما من عيلة أغلبها شيوخ وأزهريين من أول جدي الله يرحمه وأغلب أخوالي ....
- نادين "مقاطعة بسخرية" : لا ماهو باين عليكي يا أخت ميار
- ميار "بعصبية" : من فضلك ... أكمل كلامي
- نادين "وقد احمر وجهها" : أوكي سوري مش قصدي
- ميار : ماما ربتنا كويس جداً خاصة أنا ... من صغري وأنا نسخة منها في كل حاجة ... الشكل والطيبة والحنية والتفاؤل والذكاء الاجتماعي ... من صغرنا اتربينا على الحلال والحرام ... ماما بتخاف من ربنا

قوي وبتتقي الله جداً ... وساعدها على كدة بابا كمان ... هو طيب برضه بس مش متدين زيها ... بس بقى من نوعية البنت ملهاش إلا بيتها ... مفيش داعي تتعلم ... اتعلمي حاجة تنفعك ... مذاكرة إيه و دروس إيه ... في الجو ده هنجح إزاي وأجيب كام مثلا ؟

- ليلى : بس متنكريش إنه رضي إنك تدخلي جامعة وتعيشي لوحدك في بلد تانية ؟
- ميار : تصدقي بالله ؟ شهرين بنقنع فيه أنا وماما وهو مصمم إني هقعد بعد الثانوية واتخطب لابن عمي شريك بابا في المعرض ... ومقتنعش إلا لما خالي اتدخل في الموضوع ... وكأن القدر حب ينصفني فطلعت نتيجة التنسيق وجيت حقوق حلوان ... بابا اتجنن ... خالي قال له هاتها تقعد عندي ... بابا مرضيش في الأول على أساس إنه خالي برضه مستواه أقل مننا بكتير ... بس بالعافية وافق في الآخر لأنه من زمان بيحب خالي وميقدرش يرفض له طلب
- شيرين : يعني ميزعلش خالك لكن إنتي ومامتك عادي تتفلقوا ؟
- ميار : إحنا ستات ملناش رأي... في نظره درجة تانية ... حلو قوي إنه سايبنا عايشين أصلاً .... المهم ... جيت الجامعة وسكنت عند خالي في حلوان ... بيت خالي جميل قوي ... دافي كدة وبسيط ... أقل حاجة بتفرحهم ... قعدة حلوة حوالين براد شاي بالنعناع بالدنيا وما فيها ... كلهم بيحبوا بعض ... في أقل من سنة اتمنيت إني أعيش معاهم عمري كله ... عشان كدة لما بقيت في سنة تانية ومعتز ابن خالي صارحني إنه عاوز يتقدم لي قلبي رقص من الفرحة

- نادين : أيوه بقى

لم تسمع ميار تعليق نادين ، وتابعت كلامها وعيناها شاردتان وكأنها تنظر إلى شئ بعيد لا نراه

- ميار : معتز كان في رابعة تجارة وكنت أنا في سنة تانية وقت ما فاتحني في الموضوع ... معتز كان حالة كدة جميلة جداً ... ابن بار بأهله جداً ... بيقرأ كتير قوي ... هو اللي حببني في القراءة وخاصة التاريخ والروايات ... وبسببه حبيت أبو تريكة وبقيت بشجع الأهلي ... ليه طريقة كدة بتحببك في الحاجة وتخليكي تعمليها عن اقتناع من غير ما يقولك ده صح أو غلط واعملي ده وسيبي ده ... بيلعب كرة حلو قوي وفي فريق الجامعة كمان ... وبيساعد زمايله وبيعمل لهم ملخصات وملازم امتحانات و ده طبعاً كن بيضايق ناس كتير خصوصاً الدكاترة اللي بيدوا دروس ... وأكتر من مرة هددوه وقالوله هنفصلك ونلبسك قضية أمن دولة ... لكن هو مكانش بيهمه ... لحد ما كان آخر يوم في امتحاناته وامتحاناتي أنا كمان وحصل اللي حصل .
- نادين : طبعاً قال لك خلينا إخوات أحسن
- ميار "متجاهلة سخافة نادين" : كان متفق معايا إنه يسافر معايا بعد آخر امتحان ويوصلني لحد بيتنا في الاسماعيلية ويكلم بابا في موضوعنا ... طبعاً بعدما استأذن باباه ومامته و أخد منهم الضوء الأخضر ... وقفت أستناه على باب الجامعة ... لقيته خارج وجاي ناحيتي وفجأة تلاتة نادوا عليه ... راح لهم ... كان شكلهم غريب ... واحد منهم مسكه قام معتز زق إيده ...ضربوه بعصايا على دماغه وقع

على الارض ... جريت عليه ونزلت أشوف جراله إيه مكانش في وعيه ... شدوني من الخمار وسحلوني على الأرض ... وشالوه حطوه في ميكروباص وجروا بسرعة ... كل ده والناس واقفة تتفرج وأنا بصرخ ... لملمت نفسي وجريت على بيت خالي حكيت لهم اللي حصل ... مرات خالي انهارت ... وخالي اتجنن ... ٤٨ ساعة مفيش نوم ... من مستشفى للتانية ... من قسم للتاني ... محدش عارف حاجة ولا حد عارف دول مين ... لحد ما خالي جاله اتصال من قسم المطرية

- ليلى : قسم المطرية ؟؟ ... ليه ؟؟؟
- ميار "وهي تغالب دموعها" : قالوله إنت وحيد والد معتز ؟ ... تعال استلم جثة ابنك
- شيرين : يا نهار أسود
- ميار : قالوا لخالي ابنك بينتمي لتنظيم هدفه إقامة الدولة الإسلامية وقلب نظام الحكم واتمسك أثناء إعدادهم لعمليات تفجيرية ... وهو في الحجز المساجين اتخانقوا مع بعض ... ابنك مستحملش الضرب ... مات ... امضي بالاستلام وخد الجثة من التلاجة على المدافن ... تدفن و تروح بيتك على طول ... ولا تعمل صوان ولا تاخد عزاء واحمد ربنا إنك خدت جثته
- بسمة : بالبساطة دي ؟
- ميار : على كلام خالي معتز كان مفيش حتة في جسمه سليمة ... ضرب وجلد وكهربا وسجاير متطفية في جسمه كل ده عشان إيه منعرفش ... بيت خالي اتدمر ... خالي طول الوقت ماسك مصحف

معتز وسبحته وقاعد لوحده مش بيكلم حد ... بابا طبعاً كان فاهم اللي مكنتش فاهماه ... خاف عليا أخدني الاسماعيلية وكان عاوزني أحول دراستي وأكمل هناك ... رفضت ... ضربني ... حلف ١٠٠ يمين إني مكملش ولا أعتب بيت خالي تاني لأنهم كلهم متراقبين وهيعتقلوهم واحد واحد ... قلتله إنت كداب ... معتز برئ واتخطف قدام عنيا ومكانش بيعمل حاجة غلط ... ضربني تاني وكانت أول مرة في حياتي يعاملني بالعنف ده ... آه بابا قاسي وطبعه ناشف بس عمره ما مد إيده عليا أنا بالذات ... تعبت ... تعبت قوي ... أول مرة أحس إني لوحدي ... محدش عاوز يسمعني ... محدش قادر يفهمني ... ماما وإخواتي خايفين من بابا ... وأنا محبوسة في أوضتي مش بخرج منها ... قدمولي اعتذار سنة واتنين في الجامعة ... نزلت ٢٠ كيلو ... اتحولت لجلد على عضم ... ماما مستحملتش ... هددت بابا إنه يرجع في كلامه يا إما هتاخدني وتسيب البيت ... بابا وافق إني أرجع الجامعة بس بشروط ... أغير طريقة لبسي وأقعد في حتة تانية غير بيت خالي ... ومصليش في الجامعة خالص ولا أصاحب حد ولا أعرف حد ... نفذت كلامه ... قلعت الخمار ... وبعدها قلعت الحجاب ... لبست قصير وضيق ... بطلت أصلي ... صاحبت ... سهرت ... شربت سجاير ... عملت كل حاجة كنت بقرف أفكر فيها ... عايشة في شقة مع واحدة زميلتي وحاجة زي الفل ... بروح البيت مرة في الشهر آخد من بابا كام ألف وشكراً على كدة ... قمة الحرية اللي أي حد ممكن يتمناها .

- شيرين : سوري يعني مش حاسة إنه موت معتز ورد فعل باباكي أسباب كافية للتحول الرهيب ده ... مجرد رأي متزعليش مني
- ميار : إنتي صح ... أنا نفسي مش عارفة ده حصل إزاي ... بس مرة واحدة كدة اكتشفت إني لوحدي قوي من زمااااااان ومكنتش واخدة بالي ... بعمل كل حاجة عشان اللي حواليا يحبوني ويرضوا عني لكن مش بعمل حاجة ليا أنا ... بحب ربنا وبسمع كلامه عشان يرضي عني ويوفقني ... بحب بابا وبسمع كلامه عشان أشوفه فخور بيا ... بحب ماما وبعمل كل حاجة ترضيها ... حبيت معتز وعشانه حبيت وعملت حاجات كتيرة قوي ... وبالرغم من كل ده كل اللي حبيتهم وسمعت كلامهم محدش فيهم رحم ضعفي ولا وقف جنبي ... من أول ربنا لحد معتز.
- بسمة : أستغفر الله العظيم ... لا يا ميار إنتي مهما كان مؤمنة
- ميار : مؤمنة ؟ ... مؤمنة بإيه ؟ ... أنا كفرت بكل حاجة إلا نفسي ... مبقيتش أفكر في مين بيحبني ولا مين بيكرهني ... طظ في أي حاجة وكل حد ... أهم حاجة أبقى مبسوطة ... أهم حاجة أعمل اللي يريحني أنا مش يريح الناس ... عارفة قوي إني غلط واللي بعمله غلط ... بس ما أنا جربت الصح استفدت إيه ؟
- ليلى : وفي الظروف دي اتعرفتي إزاى على دكتور عاصم ؟
- ميار : السنتين اللي قعدتهم في أوضتي كان النت هو كل حياتي ... شات و منتديات وفيسبوك ... واحدة تايهة وعاوزة أي حد يسمعها من غير ما يكون عاوز منها حاجة أو خايف يتكلم معاها ... دخلت

جروبات كتيرة ... مسلمين ومسيحيين وملحدين ... كله بيشتم في كله ومحدش فاضي يسمع حد ... لحد ما لقيت أكتر من حد بيتكلم على إنه بيروح لاستشاري نفسي وحاجات كدة ... في البداية كنت بقول ده شغل مجانين أصلاً ... وبعدين لما لقيت ناس كتير بتتكلم على فوايد الموضوع كنت مقررة إني لو رجعت القاهرة أروح لدكتور نفسي ... أنا أصلاً مش عاوزة نصايح من حد أنا عارفة الصح والغلط كويس جداً ... أنا عاوزة أتكلم وحد يسمعني وبس ... عملت كام سيرش ولقيت إنه دكتور عاصم فيه ناس كتير بينصحوا بيه ... جيت ... ومن أول جلسة اتفقت مع دكتور عاصم إنه يوم ما هيديني نصيحة هيكون آخر يوم ليا هنا ... والراجل بصراحة قال لي المكان ده مش بتاع نصايح ... أنا فاتح كدة بس عشان الناس تيجي تقعد تشرب حاجة تقرا حاجة ... واللي عاوز يكلمني ييجي المكتب أهلاً وسهلاً ... بصراحة ثبتني بكلامه

- عاصم "ضاحكاً" : ثبتك ؟ ... إنتي حد يقدر يثبتك برضه ؟
- ميار : يا دكتوووووور ؟ ... والله إنت جامد قوي بس مش واخد حقك
- شيرين : وإنتي فين في الدنيا دلوقتي ؟
- ميار : عادي بقى ... آخر تيرم ليا في الجامعة ... عاوزة أنجح بقى كفاية السنتين اللي راحوا وأنا في البيت ... بخرج وأسهر واشرب ... بعمل كل اللي في نفسي ... ساعات بقرف من نفسي ... بس شغال يعني ... مقضياها
- بسمة : يا خبر ... الساعة بقت تسعة

- عاصم : نادين وميار خلصوا علينا النهاردة
- ليلى : بصراحة فاجئوني ... أنا حاسة إني مش هقول حاجة جنب كل الأفلام اللي سمعتها دي والله
- شيرين : فعلاً وجبة دسمة جداً
- نادين : وبعدين يعني ؟ ... هتخلعوا ولا إيه ؟
- بسمة : بصراحة حلو قوي كدة المرة دي
- عاصم : أوك نكمل المرة الجاية
- شيرين : في نفس المعاد ؟
- عاصم : أكيد طبعاً ... لو فيه تغيير هنبلغ الكل
- ميار : زي الفل ... نشوفكم على خير

قمنا للانصراف ، أخبرني دكتور عاصم أنه كان يريد الحديث معي على انفراد ولكنه أشفق علي بعد اليوم الحافل الذي مررت به ، فاتفقت معه على أن أقابله الخميس في العيادة عقب انتهاء اليوم الدراسي ، رافقنا كعادته إلى باب المصعد ، ونزلنا جميعاً حيث تبادلنا السلامات والقبلات كالعادة ، ومضى كل منا إلى وجهته .

الخميس ١١ مارس ٢٠١٠ الساعة ٤ عصراً

ليمون بالنعناع

في اللقاء الذي اتفقت فيه مع الدكتور عاصم على مواعيد عملي حدد لي ثلاثة أيام فقط في الأسبوع ، حيث اتفقنا على أن أذهب للعيادة أيام الأحد والثلاثاء والخميس من السادسة إلى التاسعة مساءً ، لم يكن عملي قاصراً على المجموعة الرباعية التي شكلها عاصم ، بل كان في خطته أن يسلم لي كل أعمال العيادة ولكن بشكل تدريجي ، يبدأ من دراسة كافة الحالات جيداً واستقبالها ومراقبتها أثناء فترة التواجد بالعيادة ، كانت العيادة عبارة عن استراحة أنيقة ، يأتي إليها الدكتور عاصم صباحاً أيام السبت و الاثنين والأربعاء ومساءً أيام الأحد والثلاثاء والخميس ، أما يوم الجمعة فيقضيه بالكامل مع عائلته ، كان من المفترض أن ألتقي به في العيادة في السادسة كما حدد لي سابقاً ، لكنه اليوم طلب مقابلتي في نادي المعادي في الرابعة عصراً لأنه لن يتمكن من التواجد في العيادة هذا المساء بسبب حضوره بطولة النادي في التنس والتي تشارك بها إحدى ابنتيه ، في الرابعة إلا الربع كنت أمام محطة مترو المعادي حيث كان الدكتور عاصم ينتظرني في سيارته كي نذهب سوياً إلى نادي المعادي الذي يعتبره البيت الثاني له إن لم يكن الأول ، دخلت السيارة فأدار المحرك على الفور وانطلق بها إلى النادي .

- حمدالله ع السلامة
- الله يسلمك يا دكتور ... إيه مستني من بدري ؟

- لا أبداً بس كنت خايف متاخديش بالك مني وسط الميكروباصات والتاكسيات دي كلها
- على أساس إني مش هعرف أميز عربية بي إم حمراء آخر موديل وسط الزحمة دي ؟
- إحنا بنقر ولا إيه ؟ امسكي الخشب يا دكتور
- لا اطمن والله مش حسودة خالص أنا
- إيه عمالة تتلفتي يمين وشمال ليه ؟ مش خطفك والله ؟ ولا خايفة حد يشوفك مع راجل غريب في عربيته ؟
- هو حد بيخطف حد الساعة أربعة في بي إم حمراء يا دكتور ؟
- ياااااااادي البي إم الحمراء ... أقولك ... أنا هركن وناخد تاكسي ... أو نتمشى النادي مش بعيد
- خلاص خلاص آخر مرة ... بصراحة أصلها أول مرة يعني أروح نادي ولوحدي كدة مش مع شلة يعني ... مستغربة بس ... وبعدين حضرتك قديم في النادي ومعروف ... فمش عاوزة أسبب لك إحراج
- آاااااااه قولي كدة ... إنتي خايفة من البنات ومامتهم
- يعني ... شوية بصراحة ... أكيد بتغير عليك
- طبعاً طبعاً ... دي لو شافتك هتدبحك

انكمشت داخل مقعدي بينما كانت السيارة تعبر البوابة الرئيسية للنادي حيث ألقى عاصم التحية على رجال الأمن الذين بادلوه التحية بشكل يعكس مدى حبهم واحترامهم له ، دخلنا إلى المكان المخصص لركن السيارات ، ركن عاصم سيارته و نزلنا منها وتوجهنا إلى كافتيريا النادي وتحديداً إلى المكان

الذي عرفت فيما بعد أنه المفضل لدى عاصم ، بمنتهى الذوق سحب لي مقعداً مما زادني خجلاً على خجل .

- ده بقى يا ستي نادي المعادي ، من يوم ما وعيت على الدنيا لقيت أبويا الله يرحمه عضو مجلس إدارة النادي ، كان بيعتبر النادي بيته و ورثنا منه الحتة دي أنا وأخواتي ، هنا كبرت ولعبت وذاكرت وحبيت واتحبيت ، هنا ضحكت وبكيت ، أيام كاملة ممكن أقضيها هنا ، من ساعة ما بصحى الفجر وآجي ألف التراك شوية ، أفطر وأشرب قهوتي ، بقابل عملاء كتير هنا ، بالمناسبة نص أعضاء النادي زباين عندي في العيادة ، يعني النادي يعتبر بالنسبة لي برضه مكان شغل ، غير كل ده بناتي ندى وشذى متربيين هنا ... ندى في رابعة تجارة من أبطال التنس هنا في النادي والنهاردة عندها بطولة مهمة جداً ... وشذى لسه في ثانوي وكابتن فريق السلة ... مينفعش يفوتني تمرين أو بطولة لواحدة فيهم ... بالظبط زي حفلات المدرسة وأعياد الميلاد ... ممكن ألغي أي ارتباط لو تعارض مع حاجة تخصهم .
- وبالنسبة لمامتهم ؟
- سلوى دي بقى هدية ربنا ليا ... حاجة كدة زوجة وأخت وأم ومديرة أعمال ... ذكية جداً وعارفة قيمة شغلي بالنسبة لي ودايماً بتساعدني على ده وبتشجعني كمان ... إحنا اتجوزنا صغيرين نسبياً ... يعني أنا كنت لسه مخلص دراسة وهي يادوب في ثالثة تربية ... بنت عمي بقى و زيتنا في دقيقنا زي ما بيقولوا
- ما شاء الله ... حاجة عظيمة بجد ... ربنا يحميكم

- العيلة يا بسمة ... العيلة هي سبب سعادة أو شقاء أي حد في الدنيا ... وأديكي شايفة في شغلنا كل المصايب سببها العيلة

هممت بالرد إلا أن الجرسون سبقني دون أن أتنبه لقدومه

- الجرسون : دكتور عاصم ... اللي منور الدنيا كلها
- عاصم : أيوب حبيبي ... أخبارك إيه والشغل عامل إيه ؟
- الجرسون : والله في نعمة يا دكتور ... الحمد لله رب العالمين
- عاصم "موجهاً كلامه إلي" : تشربي حاجة الأول ولا نتغدى على طول ؟
- بسمة : لا غدا إيه ؟ ... هي ماما كانت هتسبني أخرج من غير غدا ؟ ... مستحيل طبعاً
- الجرسون : شكل الأستاذة مش عاوزاة تنفعنا بحاجة يا دكتور
- عاصم : هي هتروح فين ؟ مسيرها هتيجي متقلقش ... طب تشربي إيه ؟ أيوب بيعمل لمون بالنعناع فريش استحالة تدوقيه في أي حتة تانية
- بسمة : أوك ماشي عشان خاطر أيوب بس
- عاصم : ماشي يا أيوب يبقى لمون بالنعناع للدكتورة وأنا القهوة بقى من البن بتاعي
- الجرسون : طبعاً يا دكتور عارفين النظام ... خمسة وأكون عندكم بالطلبات

انصرف أيوب مسرعاً بصينية الأكواب الفارغة بطريقة تضاهي أكثر لاعبي الأكروبات براعة ، وتابع عاصم حديثه :

- كنا بنقول إيه بقى ؟
- حضرتك كنت بتقول إن العيلة هي الأساس
- تمااااام
- بس اسمحلي النظرية دي مش صحيحة في أوقات كتيرة
- حتى بعدما سمعتي قصص نادين وميار ؟
- قصص نادين وميار هي نفسها اللي بتأكد كلامي
- يا سلاااام ... إزاي بقى ؟
- ببساطة شديدة جداً نادين ليها أخ واتعرض لنفس ظروفها ... بس ده خلاه رفض الواقع وأخد خط مخالف تماماً ... هي استسلمت لكن هو لأ بالرغم من إن ظروفهم واحدة ... نفس الكلام عند ميار وغيرها ... عمر العيلة ما تكون هي كل حاجة ... في أكتر البيوت المؤمنة زي بيت سيدنا نوح طلع له ابن كافر ... وفي أكتر البيوت الضالة اتربى سيدنا موسى ... فمش هنقدر نحمل العيلة لوحدها المسئولية
- بس متنكريش إنه نفس البذرة لو غيرنالها التربة والميه والجو هتدي نتيجة مختلفة كل ما نغير حاجة
- معاك ... أنا مقللتش من أهمية الأسرة والعيلة ... لكن برضه هي مش كل حاجة
- أوك ... أنا مش مستعجل ... نأجل الحوار ده لحد ما تذاكري بنفسك باقي الحالات وساعتها ابقي اديني قرارك
- اتفقنا ... هو أيوب اتأخر ليه كدة ؟
- إيه مستعجلة ولا إيه ؟

- لا كنت عاوزة أروح العيادة بدري شوية عشان حضرتك مزوغ النهاردة
- أنا ؟ مزوغ ؟ ... "وضحك ضحكة عالية وتابع" ... عليكي كلام يا بوسي
- بوسي ؟ مين بوسي ؟

توقف عاصم عن الضحك ، وبدا متلعثماُ وكأنني أحرجته بسؤالي

- بوسي ... دلع بسمة ... عادي أنا بهزر ... قلت إحنا في نادي بقى ومش كل شوية هقولك يا دكتور بسمة وجو المكتب ده
- هحاول أقتنع

وصل أيوب وبحركة تنم عن خبرته قدم المشروبات بمنتهى الحرفية والشياكة وابتسامته والجملة التقليدية التي تقال في هذا الموقف ؟

- أيوب : أي خدمة تانية يا فندم
- بسمة : ميرسي يا أيوب
- عاصم : شكراً يا أيوب ... لو احتاجنا حاجة تانية هبقى أقولك
- أيوب "منصرفاً" : تحت أمرك دايماً دكتور
- بسمة : صحيح مش هشوف حد من البنات النهاردة ؟
- كنت عاوز آخدك بصراحة ونبص على ندى وهي بتستعد للماتش ... بس بصراحة خايف أشتت انتباهها
- وشذى ؟

- للأسف عندها درس دلوقتي ويادوب هتيجي الساعة ٦ على بداية الماتش بالظبط
- يبقى أنا اللي حظي وحش بقى
- لا خالص ... الجايات أكتر ... وانتي خلاص عرفتي المكان وأكيد هنتقابل كتير بعد كدة
- ربنا يسهل
- اتفضلي اشربي

تناول عاصم قهوته بينما كنت أشرب المشروب العجيب الذي طلبه لي ... خلال تلك الأثناء تابعنا الحديث عن الحالات والعيادة ... ومر الوقت سريعاً فقمنا إلى السيارة حيث أصر عاصم على أن يوصلني إلى العيادة ... وعلى باب العمارة تركني وعاد ثانية إلى النادي ... دخلت العمارة وصعدت إلى الدور الرابع لأجد الباب مفتوحاً كالعادة ... سلمت على عم سليمان ودخلت مكتب الدكتور عاصم وأغلقت الباب ... ألقيت حقيبتي على المكتب ... وجلست على الكنبة الأنيقة رغبة في هدنة قصيرة قبل بداية العمل .

كنت أفكر في عاصم ... وأفكر أكثر في سبب استدعائي لمقابلته في النادي ... لم أجد إجابة ... هل كان يريد أن يعرفني على أيوب ؟ أم أن أخوض تجربة الليمون بالنعناع ؟ ... لماذا كان يتكلم كثيراً عن أسرته وبناته ؟ ... ما الهدف من هذا اللقاء الذي لم يذكر فيه العمل أو العيادة إلا لحظات معدودة ... سمعت طرقات عم سليمان فاعتدلت في جلستي وقلت : اتفضل ياعم سليمان

- هتشربي حاجة يا بنتي

- ياريت ياعم سليمان تعمل لي شوية شاي كشري عشان دماغي وبطني مقلوبين
- سلامتك ... أحط لك على الشاي ورقة نعناع ... ولا أعصرلك لمونة ؟
- تاني لمون ونعناع ؟ ... إنتو متفقين عليا والله
- يا بنتي هو أنا قلت حاجة غلط ؟
- شاي ياعم سليمان ... معلقة شاي على معلقة سكر في كباية إزاز وعليهم شوية مية مغلية ... حبايب ؟
- حبايب يا ستي ... دقيقة واحدة ويكون عندك

انصرف عم سليمان ، قمت إلى مكتب عاصم ، جلست مكانه ، ولأول مرة ألاحظ البرواز الأنيق الذي يزين مكتبه والصورة العائلية الرائعة التي بداخله ، كانت الصورة على ما يبدو في إحدى القرى السياحية وتجمع عاصم بزوجته سلوى ومعهما ندى وشذى ، ويبدو أن الصورة قد تم التقاطها منذ فترة طويلة قبل أن يغزو الشيب رأس عاصم الذي كان حليق الذقن في الصورة أيضاً ... صورة تعبر عن أسرة رائعة في قمة سعادتها بحق .

- والله أمور يا عاصم ... بس على فكرة وإنت بدقن ونظارة أحلى ... ده إنت أحلى من مراتك ... وبعدين بقى ... من إمتى يا ست بسمة الكلام ده ؟ تكونيش معجبة بيه ولا إيه ... لا عادي يعني ده قد أبويا ... قد أبويا آه ... أنا تقريباً سمعت الكلمة دي قبل كدة ... يلا يا حلوة سيبي

الصورة وافتحي الكمبيوتر و صلي على النبي وابدأي شغل ... عشان ثواني وهتلاقي مستشفى المجانين بتاعت عاصم دي اتملت .

فتحت الكمبيوتر الخاص بالدكتور عاصم ... كل شئ منظم ... يقسم عاصم حالاته وفقاً للعديد من المعطيات والفئات ... تارة حسب الشرائح العمرية وتارة حسب المستوى المادي والاجتماعي ... حالات كثيرة لأناس من كل فئة ولون .... مشاهير وكتاب ولاعبي كرة ورجال أعمال وفنانين ... ملفات وصور وفيديوهات ... عدد من المراجع العربية والأجنبية ... قسم كامل للموسيقى الأجنبية وروائع الموسيقى العربية الاصيلة ... كنت أبحث عن لا شئ ... أدور بين الملفات والبيانات بلا هدف ... حتى أخرجني صوت شبيه بصوت الدكتور عاصم إلى حد ما ولكنه بالطبع ليس هو ... وقد ارتفع صوته بالمزاح مع عم سليمان ... وفجأة و دون سابق إنذار اقتحم صاحب الصوت مكتب الدكتور عاصم دون استئذان ... وتسمر مكانه للحظة حين رآني وسألني بلهجة تعجب مصحوبة بالاستنكار :

- إنتي مين ؟
- أنا ... إنت اللي مين ؟ وإيه الدخلة دي ؟ مش فيه باب بنخبط عليه الأول ؟
- باب إيه ؟ ... بقولك إنتي مين وبتعملي إيه هنا ؟
- بص حضرتك لو ده معادك مع دكتور عاصم فللأسف الدكتور مش هيقدر يكون موجود النهاردة
- ليه بقى إن شاء الله ؟ ... ومين إدالك الإذن تتكلمي باسمه وهو مش موجود ؟

- أنا بسمة ... المساعد الجديد للدكتور عاصم
- بسمة ؟؟؟ ... جميل والله ... بس برضه إزاي عاصم ميبلغنيش وهو عارف إني جاي ؟
- الدكتور عاصم "وضغطت جيداً على كل حرف في كلمة الدكتور كي ألفت انتباهه" عنده مشوار مهم وممكن حضرتك تتصل بيه عشان تتأكد
- قوي قوي ... و آدي قعدة ... لما نشوف آخرتها

جلس على أحد المقاعد وأخرج هاتفه المحمول ، واتصل بعاصم الذي رد عليه على الفور

- إنت فين يا عم الدكتور ؟ ... إنت مش عارف إني جاي من اسكندرية وقايل لك إني هعدي عليك ؟ ... أيوه يعني إيه يعني نسيت ؟ ... إنت مش عارف أنا ممكن أعمل فيك إيه دلوقتي ؟

أحسست بقليل من الخوف مع هذا التهديد الصريح من شخص يبدو أنه من الحالات الخطرة ... وهنا أطلق هذا الغريب ضحكة عالية

- حبيب قلبي واللي مربيني ... بس إيه رأيك في دخلة المجانين دي ؟ ... واحشني يا أخي واتفاجئت لما جيت العيادة ولقيتك مش موجود ... آه أنا في العيادة وقاعد في مكتبك كمان مع بسمة ... مش تقوللي ياعم إنك عينت موظفين جداد بدل مانا داخل زي الأطرش في الزفة كدة ... لا خلاص أنا قاعد شوية هشرب القهوة ونازل ... لا متجيش طبعاً أنا

هبقى أعدي عليك وقت تاني ... خلاص والله هي ربع ساعة ونازل على طول ... خلاص براحتك تعال .

أغلق الهاتف و وضعه في جيبه ونظر إلى وقد تغيرت ملامح وجهه لتصبح أقل حدة

- وإنتي موجودة هنا كل يوم ؟
- لا على حسب الشغل
- وتعرفي عاصم من زمان ؟
- لا ... الدكتور عاصم كان عامل إعلان من كام شهر وقدمت ونجحت ولسه مستلمة من حوالي شهر
- كمان ؟ ... الواطي عمل إعلان من غير ما يقوللي
- هو حضرتك ليه محسسني إنك شريكه في العيادة
- طب مانا بالفعل شريكه
- نعم ؟؟؟
- أقدم لك نفسي ... مهندس حازم عبد الحميد النجار ... الشقيق الأصغر للدكتور عاصم عبد الحميد النجار ... ٣٢ سنة ... مهندس في شركة بترول وعايش في اسكندرية ... أعزب ولا أعول ... عاصم أخويا الكبير وهو اللي مربيني ... إيه رأيك بقى في التربية
- ونعم التربية والله
- إيه ؟؟؟
- لا قصدي أقولك حمدالله ع السلامة والله

- الدور ده أصلاً كان شقتين ... واحدة كنا ساكنين فيها والتانية كانت عيادة والدي الله يرحمه ... وبعدما والدي اتوفى وقسمنا الميراث عاصم أخد الشقتين دول وفتحهم على بعض كان عاوز يعملهم عيادات خيرية بس سكان العمارة يا ستي قالوله إنت هتقلبهالنا مستوصف ويدخل لنا العمارة أشكال ما يعلم بيها إلا ربنا وبدأوا يخنقوا عليه ... لحد ما سابها زي ما هي وعملها عيادة نفسية كبيرة زي مانتي شايفة بالشكل الموجود قدامك ده

هنا دخل عم سليمان بالشاي والقهوة و وضع الصينية على المائدة

- سليمان : حاجة تانية يا هندسة ؟
- حازم : ربنا يبارك في عمرك يا راجل يا بركة
- سليمان : أصيل يابني وابن أصول ... مترغيش معاه كتير ده ياكل دماغ بلد
- حازم : أنا ؟ ده أنا حتى بيسموني في الشغل "الوضع صامتاً"
- سليمان : هزاز يعني ؟
- بسمة "ضاحكة" : أهو شفت إنت اللي بترغي دلوقتي
- سليمان : الحق عليا شايفكم مش طايقين بعض قلت ألطف
- حازم : عجوز بس مصيبة
- سليمان : مين ياض ده اللي عجوز ؟ ... تلاعبني رست ؟
- حازم : امشي ياعم عشان عاصم لو جه لقاني قالبهاله سيرك كدة هيبهدلني
- بسمة : هو الدكتور عاصم جاي ؟ إنت متأكد ؟

- حازم : آه طبعاً ... ده شكله اتخض ياعيني لما عرف إني هنا
- بسمة : غريبة ... المفروض إنه في النادي دلوقتي عشان بطولة التنس اللي ...
- حازم : تنس ؟؟؟ يااااه ... هو لسه فيه الداء ده ؟
- بسمة : داء إيه حضرتك مش فاهم حاجة ... النهاردة فيه بطولة تنس والدكتور عا...

هنا دخل عاصم المكتب مسرعاً وكأنه كان يجري طوال المسافة من النادي إلى العيادة ، وبدا صوت أنفاسه المتلاحقة عالياً وهو يقول : إنت بقالك قد إيه قاعد هنا ؟

- حازم : يادوب لسه داخل وأول ما دخلت كلمتك ... يعني مفيش دقايق ... إيه بس مالك ؟
- عاصم : مالي إيه ؟ ... أنا كويس ... إنت اللي فاجئتني بس
- بسمة : تتصور يا دكتور إن المهندس حازم استغرب لما قلتله إنه حضرتك في النادي عشان البطولة
- عاصم : إنتي كمان قلتيله إني في النادي ؟ ... قلتيله إيه كمان ؟ انطقي
- بسمة : مقلتش حاجة والله ... أنا أصلاً مكنتش أعرف هو مين وعاوز إيه ... ولسه معرفني بنفسه
- عاصم : وطبعاً الباشا وحضرتك قاعدين تتكلموا وسايبة الشغل
- بسمة : يا دكتور والله إنت مكبر الموضوع ... الساعة لسه ستة وربع أنا مكملتش نص ساعة هنا
- سليمان : ده لسه الشاي مبردش يابني

- حازم : فيه إيه ياعاصم ؟ مفيش داعي للثورة دي كلها
- عاصم : يعني خلاص أنا اللي مجنون وكلكم عاقلين ... ماشي ماشي خليكم قاعدين ... أنا سايبهالكم وماشي ... اتفضلي ارتاحي يا دكتورة ... خد راحتك يا حازم البيت بيتك ... هات لهم عشاء يا عم سليمان ... أنا ماشي

خرج عاصم وسط دهشتنا و ذهولنا جميعاً من رد فعله الغريب ، أحس حازم بالحرج الذي سببه لي واعتذر لي بشدة وخرج يجري خلف أخيه ليحاول تهدئته ومعرف سر عصبيته الزائدة ، وبحنان الأب نظر إلى عم سليمان قائلاً :

- متاخديش على خاطرك يا بنتي ... عاصم عصبي شوية بس بيروق بسرعة ... أنا أكتر واحد عارفه
- أنا اتصدمت فيه يا عم سليمان ... كنت فاكراه أعقل من كدة ... هو حصل إيه أصلاً
- معلش يا بنتي ... هو بس عارف إن أخوه لعبي حبتين ... يمكن خاف عليكي منه
- خاف عليا ؟ ... بالشكل ده ؟ ... لا متشكرين ... بناقص
- روقي يا دكتورة ... ركزي في نفسك وشغلك ...أنا قاعد برة ولو احتاجتي حاجة رني الجرس
- أوك ياعم سليمان
- حقك عليا أنا يا بنتي
- وانت ذنبك إيه بس ... اتفضل ياعم سليمان

انصرف عم سليمان ، وتركني وسط حيرتي و ذهولي ومخاوفي التي زادت بعد ثورة الدكتور عاصم غير المبررة ، أكملت يومي في مكتب الدكتور عاصم ، استقبلت أربع حالات في جلسات روتينية عادية جاهدت نفسي خلالها لأبدو هادئة مبتسمة ، وانتهى اليوم أنا لا زلت أحاول الإجابة على العديد من الأسئلة التي تراودني منذ الرابعة عصراً في النادي وحتى آخر اليوم .

الثلاثاء ١٦ مارس ٢٠١٠ الساعة ٥:٤٥ مساءً

ليلى وشيرين

بعد موقعة يوم الخميس الماضي ذهبت إلى العيادة يوم الأحد ، يوم عادي جداً ، الدكتور عاصم يستقبل الحالة تلو الأخرى ، وأنا مشغولة في إعادة ترتيب بعض الملفات وتدوين الملاحظات ، جلست أغلب الوقت في إحدى القاعات الفرعية بالعيادة ، لاحظ عم سليمان أنني لا أتحدث كثيراً مع الدكتور عاصم ، وبخبرة السنين حاول أن يخبرني أن الدكتور عاصم شخصية عملية جداً ويغار على عمله بشكل كبير ، كان يعلم أنني قد صدمت من رد فعل عاصم تجاه وجود أخيه معي في مكتبه ، ولكنه حاول أن يطيب خاطري ولو بكلمة وأخرى ، العجيب في الأمر أن الدكتور عاصم طوال اليوم كان يتعامل معي بشئ من الرسمية ولم يكلف نفسه عناء الحديث معي أو على الأقل شرح أسباب غضبه وثورته ، فكرت في الاعتذار عن الحضور اليوم إلا أنني طردت هذه الفكرة الصبيانية من رأسي ، فمن تفكر في الدكتوراة والعمل والمستقبل ينبغي لها ألا تتصرف كالصبية وتنفعل و "تتقمص" كما يفعلون .

في تمام السادسة كنا نجلس جميعاً في المكان المخصص لنا ، لاحظت أن الدكتور عاصم يعد كوبين من الشاي وجاء بهما ومد يده إلى بأحد الكوبين وهو يقول بصوت منخفض :

- هنفضل مبوزين كدة كتير ؟
- لا أبداً ... ميرسي ع الشاي
- عم سليمان قال لي معلقة واحدة سكر ... صح ولا بيضحك عليا ؟

- لا مظبوط
- فكي بقى عاوزين نشتغل

كانت كل واحدة في مكانها ، ويبدو أنهن قد لاحظن حديثنا الهامس

- نادين : إحم إحم .... إيه ... ورانا حصة عربي هتخلص الساعة ٩ ... ولا إيه ؟
- شيرين : إهدي يا سوسة
- بسمة : هو النهاردة الدور على مين ؟

تبادلت ليلى وشيرين النظرات وفي نفس اللحظة أشارت كل منهما إلى الاخرى وقالت : هي

- ميار : إحنا نعمل قرعة
- عاصم : لا مفيش قرعة ... الديكتاتورية هي الحل ... مفيش فايدة فيكم ... يلا يا شيرين
- شيرين : ليه ليييييييه ... خلوني آخر واحدة ... أنا أصلاً مش عندي كلام أقوله
- نادين : يلا يا شيري ... شكة دبوس ... مش هتحسي بحاجة
- ميار : وادينا قدامك أهو زي الفل ... مفيش أي إصابات والحمد لله
- شيرين : معلش معلش أريح شوية أنا جاية جري من المهندسين أصلاً
- ليلى : خلاص يا دكتور ... خليها عليا المرة دي
- عاصم : متأكدة ؟
- ليلى : أيوه بسرعة قبل ما أرجع في كلامي

- بسمة : خلاص اتفضلي اتفضلي ... نورتي المسرح

لحظات من الصمت والترقب قبل أن تأخذ ليلى نفساً عميقاً وتنظر إلى هاتفها لتتأكد أنه صامتاً ثم بدأت :

- ليلى : أنا ليلى أبو المكارم ... مديرة إدارة الموارد البشرية في بي إس بنك ... ماجستير إدارة أعمال ... متزوجة وعندي ولد وبنت ... آه صحيح ... عندي ٤٠ سنة ... ٤٠ مش ٥٠ ... واخدة بالك إنتي ؟
- ميار : إيه ؟ ... بتهزري طبعاً ... لا إنتي شكلك يدي أكبر بكتير ... سوري متزعليش مني
- ليلى : وأزعل ليه ؟ ... أنا عارفة كدة قبل ما تقولي
- شيرين : و ده عشان تعبانة أو بتشتكي من حاجة ؟
- نادين : أنا عارفة السبب
- ليلى : والله ؟ ... كويس ... اتفضلي
- نادين : هو إنتي ليه فاكرة إني بيبي ومعرفش حاجة عن الدنيا ؟ ... حضرتك بدأتي كلامك بالشكل اللي يدينا فكرة عنك ... أنا مديرة ... وماجستير ... ومتجوزة وأم .. إنتي فين ؟ ... إنتي إيه ؟
- عاصم : إحنا قلنا إيه يا بنات ؟ ... أستأذنكم نأجل الأسئلة لغاية ما مدام ليلى تخلص
- ليلى : لا عادي يا دكتور ... على فكرة يا نادين إنتي صح ... اللي إنتي فهمتيه وانتي لسه في ثانوي أنا مفهمتوش إلا متأخر قوي ... منكرش إني طول حياتي إنسانة متميزة ... أو على الأقل زي ما بيقولوا عليا كدة ... من الأوائل على فصلي ومدرستي ... بس من صغري مش

مركزة في أي حاجة إلا الدراسة وبس ... أهم حاجة أرفع صباعي وأجاوب والفصل كله يصقف لي من غير ما آخد بالي إن كل اللي بيصقفولي مليش فيهم أي أصحاب ... وبنفس الدماغ دي كبرت من مدرسة لمدرسة لجامعة ... أمي ماتت في امتحانات الثانوية العامة ... جبت مجموع قليل ... ومكانش عندي رفاهية إني أعيد ثانوية عامة عشان أدخل الكلية اللي بحبها ... خاصة إني بعد وفاة والدتي كان المفروض إني أشيل البيت بدالها لأني أكبر البنات ... دخلت تجارة وتفوقت فيها سنة ورا سنة كنت مركزة إني أبقى معيدة وأعوض اللي فاتني ... طلعت التالتة على دفعتي ... عينوا الستة الأوائل وسابوني ... مانا مش عندي واسطة زي الرابع والخامس والسادس اللي آباؤهم أعضاء هيئة تدريس ... مسكتش .. رفعت قضايا على الجامعة ... مخدتش حاجة ... كان فيه دكتور يعرفني كويس جداً وعارف الظلم اللي اتعرضت له ... جابلي وظيفة في بنك محترم ... قلت خلاص ربنا عوضني وأركز بقى في شغلي ... اشتغلت واديت الشغل كل اهتمامي ... عملت دبلومة في الموارد البشرية ... وسجلت ماجستير وأخدته بتقدير امتياز ... في الأثناء دي واحد زميلي اتقدم لي ... إنسان كويس ومحترم وناجح ... مكانش فيه سبب مقنع إني أرفضه ... قلت أتجوزه والعشرة هتخليني أقرب منه وأحبه ... بصراحة هو كان يعتبر حلم لبنات كتير ... وسيم ودمه خفيف ... بيحب الخروجات والفسح والرياضة ... بيطلع رحلات في الصحراء ويقعد أيام في مركب بيصطاد مع أصحابه ... في مرة بقول له لما إنت غاوي جري وتنطيط

كدة اتجوزتني ليه ؟ ... قال لي : كنت شايفك حد في حاله قوي ومحترم ملوش في الهزار مع كل من هب و دب ... قلت يمكن لما تعرفيني كويس وتحبيني تتغيري وتفكي شوية ... لكن للأسف مقدرتش أغيرك

- ميار : بينام معاكي ؟
- ليلى : إيه اللي بتقوليه ده ... ده جوزي وأنا مراته
- ميار : أنا سألتك سؤال ... وإنتي مجاوبتيش
- عاصم : ميار ... من فضلك
- ليلى : حسام إنسان جميل قوي وبيحبني قوي ... أنا عارفة إني ياما خنقته بس أنا والله بحبه ... مش معنى إني مشغولة عنه إني مش مهتمة بيه ... بس يمكن الولاد والشغل والدراسة بياخدوني منه شوية ... بس ده بقى العادي في حياتنا كلنا ... ماهو برضه بيخرج مع أصحابه وبيسهر ويسافر ولا هو ده حقه لوحده .... هو يعمل اللي هو عاوزه وأنا اللي أهتم بدون أي مقابل
- شيرين : يعني إيه مقابل ؟ .... أنا آسفة على قطع كلامك
- ليلى : يعني ليه الحياة متمشيش كدة ؟ ... هو يقوم بدوره وأنا أقوم بدوري من غير مايكون لينا طلبات ... ليه لازم أكون طول الوقت فرفوشة وبحب الخروج والسهر وأنا أصلاً معنديش وقت لكل ده ؟ ... ليه تكون أولوياته غير أولوياتي ؟ ... ولا هو مضايق عشان أنا ناجحة أكتر منه واترقيت أسرع منه وعملت ماجستير وشغالة في الدكتوراة وهو لسه محلك سر ؟
- نادين : إنتي أكيد مقلتيش الكلام ده له قبل كدة ... ولا قلتي ؟

- ليلى : قلت ... وقلت أكتر من كدة كمان
- بسمة : نعم ؟ ... معقولة ؟
- ليلى : زهقت ... فاض بيا ... مش عاجبه أي حاجة فيا أمال اتجوزني ليه ... شافني مختلفة عنه في كل حاجة ارتبط بيا ليه ؟ ... هو فيه حاجة اسمها إني أتجوزها وأغيرها ... طب أديك فشلت تغيرها يا فالح ... البس بقى ... البس بيت وزوجة وعيال ... البس ... ولا هتهرب زي ما بتهرب مع أصحابك ؟
- بسمة : يعني انتي شايفة إن المشكلة في اختياره ليكي ؟
- ليلى : أنا معرفش إيه المشكلة ... أمال أنا جاية هنا ليه ... أنا مرة واحدة لقيت نفسي عديت ٤٠ سنة ... شعري بدأ يشيب ... عندي الضغط والسكر ... مشاكل كتيرة في الظهر والمفاصل والمعدة ... لو شفتوني جنب حسام لا يمكن تقولوا إني مراته لأني شكلي أكبر منه بكتير وهو في الحقيقة أكبر مني بخمس سنين ... يمكن أنا من صغري سجنت نفسي ورا أسوار الروتين ... يمكن شايفة إن كل اللي حواليا فوضويين ولازم الدنيا تمشي بالساعة ... في الجامعة في البيت في الشغل في أي حتة ... معرفش ... والله ما أعرف ... أنا فجأة اكتشفت إني مليش أصحاب ... حتى في المناسبات لما حد في الشغل بيتصل بيا بكون عارفة ومتأكدة إنه بيتصل بيا عشان أنا مديرته أو خايف مني ... مليش أي علاقات اجتماعية ... حتى علاقتي بأهلي وجيراني سلامو عليكو صباح الخير ... الإنسان الوحيد اللي حبيته وحبني بقى بيني وبينه جبال جليد ... بنتقابل الصبح في الفطار ... وبعد الظهر في الغدا

... كل واحد بينام في أوضة من فترة كبيرة ... هو عايش حياته ... والولاد برضه مستمتعين بحياتهم ... الحمد لله أخدوا من باباهم حب الحياة ... ولقيتني عايشة لوحدي ... برجع من الشغل أجهز الغدا نتغدى وكل واحد يشوف وراه إيه ... وتصبحي على خير يا ماما ... ونصحى تاني يوم الصبح ... والنهاردة شبه إمبارح شبه بكرة ... مفيش جديد ... حتى لو فيه جديد ... أنا مش حاساه .

- شيرين : يعني إنتي جوزك عمل البدع عشانك ومفيش حجة اتغيرت ... هتيجي بعد الوقت ده كله تتغيري ؟
- ليلى : القصة مبقتش بيتي وجوزي ... أنا في الشغل بقيت عصبية جداً اكتر من الأول ... و نبهوني اكتر من مرة إنه ده هيأثر عليا وظيفياً ... لكن أنا مش عارفة أبقى هادية ... كل حاجة باخدها على أعصابي ... حاسة إن كل الناس بيتكلموا عليا ... بشوف في عنيهم نظرات مش حباها
- ميار : انا شايفة إن انتي المشكلة وانتي الحل ... الموضوع سهل وانتي دماغك حلوة
- ليلى : أنا مقلتش إني مشكلتي ملهاش حل ... أنا اللي مش عارفة أفكر ... بعد العمر ده كله اكتشفت إني امتياز في الدراسة والشغل ... لكن صفر حياة صفر اجتماعيات صفر في حاجات كتيرة جداً كنت فاكرة إنها مواد مش بتتضاف للمجموع ، وأتاريها هي كل حاجة ... كل النجاح ... وكل الفشل .
- نادين : تفتكري عندك استعداد للحل بعد العمر ده كله ؟

- ليلى : أمال أنا جاية هنا ليه ... وقاعدة أحكي كل ده ليه ؟ ... أكيد فيه حل ... أكيد ... ولا إيه يا دكتور عاصم ؟ ... فيه حل صح ؟
- عاصم : مفيش مشكلة في الدنيا ملهاش حل يا مدام ليلى ... و ده هيكون دورنا كلنا مع بعض الفترة الجاية ... صدقيني إحنا هنا أسرة واحدة وكل مشاكلنا هنحلها هنا ... أنا مراهن نفسي على إننا هننجح ... والله هننجح وبكرة أفكرك ... أستأذنكم مفيش أسئلة ... انتم أصلاً مش بتسمعوا الكلام وقاعدين تسألوا من الصبح ... هنطلع فاصل ... ونتقابل مع مسك الختام ... المهندسة شيرين
- شيرين : استر يا رب

فترة الراحة بين المحاضرات أو الاجتماعات بالنسبة لنا – نحن النساء – لا تمثل راحة بالمعنى المفهوم اللهم إلا أنها تكون راحة لآذاننا التي كانت تتلقى الكلمات واللكمات ، ونبدأ في إطلاق العنان لألسنتنا المحبوسة طوال هذه الفترة البغيضة بالنسبة لنا ، فما أن انطلقت صافرة الحكم – الدكتور عاصم – معلنة انتهاء الشوط الأول حتى قمنا إلى إعداد مشروباتنا في ثنائيات غير معدة مسبقاً ، وهذه المرة تعمدت أن أكون مع ليلى التي بدت حزينة قليلاً ربما بفعل صندوق الذكريات التي بعثرت محتوياته القليلة أمامنا ، بدأت معها حواراً لطيفاً وتجاذبنا أطراف الحديث

- بسمة : ضحكتي علينا إنتي على فكرة ومقلتيش حاجة
- ليلى : أنا ؟ ... ليه بتقولي كدة ؟

- بسمة : هو إنتي كدة قلتي حاجة عن نفسك ؟ ... هم يادوب عشر دقايق بالكتير قوي ربع ساعة ... مش زي الأختين الحلوين اللي صدعونا المرة اللي فاتت
- ليلى : قصدك على نادين وميار ؟ ... طب هم حياتهم مليانة أحداث و حوارات ... أنا مش كدة ... أنا معنديش أي أكشن
- بسمة : مش قوي كدة ... سوري يعني إنتي عشتي قدهم هم الاتنين مع بعض وأكيد تجاربك أكتر منهم
- ليلى : مش بالسن يا بسمة ... عمر التجارب ما كانت بالسن ... البنت أم ٨ سنين اللي بتبيع مناديل في الشارع ممكن يكون عندها تجارب أكتر مني ... الولد اللي عنده ١٢ سنة وسايق توك توك ده عنده خبرات ومسئوليات منعرفش عنها حاجة أنا وأنتي ... الخبرات والتجارب والمخاطر بتيجي بالاحتكاك ... اللي زيي بيخافوا من مخاطرها ... بس أكيد بيتحرموا من حلاوتها ... ومش بيعرفوا حاجة عن دروسها
- بسمة : كبير قوي الكلام ده
- ليلى : والله مش كلام ... أنا أغلب مشاكلي في البيت والشغل إني معنديش احتكاك بأغلب أصناف الناس ... عشان كدة مش بقدر أميز بين الخير والشر جواهم وتلاقيني دايماً واخدة موقف عدائي أو متحفز من كل الناس ... عشان محدش يضحك عليا
- بسمة : طب يلا يلا ... الشلة قعدت والدكتور عاصم عمال يبص في ساعته
- ليلى : أوك ... نكمل كلامنا بعدين

أخذ الجميع أماكنهم استعداداً للجولة الرابعة والأخيرة من مهرجان الفضفضة للجميع ، نظراتنا جميعاً تتجه إلى شيرين التي حاولت الهرب من عيوننا بالنظر إلى الأرض مرة وإلى السقف والجدران مرة أخرى ، ثم قالت :

- شيرين : اسمي شيرين صبحي ... ٢٨ سنة ... خريجة كلية الفنون التطبيقية قسم أثاث داخلي وديكور ... اتولدت في أسرة صغيرة مكونة من بابا وماما وأنا وأخويا التوأم شريف ... بابا كان مدرس شاطر سافر بدري بدري يشتغل في الخليج واخدنا معاه عشنا عمرنا كله نتنقل من بلد لبلد ... السعودية ، قطر ، العراق ، الكويت ، قطر تاني ... استقرينا في قطر لغاية ما أخدنا الثانوية العامة أنا وشريف ... بابا كمل في قطر وأنا وماما وشريف رجعنا مصر ... أنا دخلت فنون تطبيقية وشريف دخل تجارة ... حياة هادية جميلة لذيذة ... مستوى كويس وفلوس كتيرة ... كتر تنقلنا من بلد لبلد خلاني أنا وشريف علاقاتنا محدودة قوي ... مع إننا عاشرنا ناس من كل بلد ولون إلا إننا مكناش بنلحق نعمل صداقات طويلة ... كنا توأم في كل حاجة ... الشكل والدماغ حتى اللبس كانت ألواننا و ذوقنا قريب من بعض ... حبيت الرسم من صغري وشريف كان مجنون مزيكا ... لذلك كان طبيعي أقدم في فنون تطبيقية لكن شريف اختار تجارة وقال ساعتها خللي المزيكا بعيد عن الدراسة الشغل ... هواية يعني مش أكتر ... مكملناش سنة في مصر إلا وكان بابا محصلنا ... بس في تابوت ... واكتشفنا إنه كان عنده مشاكل في القلب والكلى وماما كانت مخبية علينا ... مات بابا

... وماتت معاه حياتنا الهادية الجميلة ... وبدأنا حياة جديدة ... وبدأت أصعب أيام حياتي .

أحسست أن كل ما قالته شيرين كان الهدوء الذي يسبق العاصفة ، وبالفعل كان إحساسي صادقاً حينما استمعنا لها وهي تكمل قائلة :

- شيرين : في يوم وليلة حسيت إننا من غير سقف ولا حيطان ... مفيش حاجة بتحمينا ... عدت أيام وليالي كتيرة لحد ما فقنا من الصدمة ... واضطرينا كلنا إننا نكمل حياتنا اللي ربنا اختارها لينا ... لكن بعدما حاجات كتيرة اتكسرت جوانا ... استسلمت ماما لقضاء ربنا وقررت تقوم بدور الأم والأب ... كان بابا محوش مبلغ كويس للزمن وكان عندنا عمارة مأجرين كل شققها و بتدخل لنا دخل كويس ... فكانت أمورنا المادية مستقرة إلى حد كبير ... دخلنا سنة تانية جامعة أنا وشريف ... عشت جوه نفسي و دراستي ومذاكرتي ومشاريعي ... أما شريف فكان له سكة تانية
- ليلى : اتغير ؟
- شيرين : اتبدل حاله ١٨٠ درجة ... شريف كان بيلعب جيتار كويس جداً وفي أولى تجارة كان نجم من نجوم الجامعة وأكتر من حد عرض عليه إنه يشغله معاه لكن كان بيرفض بحجة إنه ده مش وقته ... لكن لما بابا مات حب يعيش دور الراجل اللي بيصرف على نفسه و دي كانت البداية
- ميار : مامتك مكنتش معترضة ؟

- شيرين : ماما اعترضت طبعاً وقالت له إنه مش عيب إنه ياخد مصروف وإن دي فلوسه أصلاً وإنه لازم يخلص دراسته الأول وبعدين يشتغل ... كلمها أكتر من مرة وقال لها إن وقته كبير وإن الشغل هيديه خبرة أكتر وممكن تبقى دي حياته ومستقبله بعد التخرج ... بعد إلحاح ماما اقتنعت ... بدأ شريف يشتغل في فرقة ... ويروح يسجل في استديوهات ... طبعاً التسجيل طول الليل ويرجع ينام طول النهار وميروحش الجامعة ... ومن الاستديوهات للكازينوهات للملاهي الليلية والكباريهات ... وطبعاً السهر والعيشة في الجو ده بيعلم كل حاجة مهما كانت أخلاقك وتربيتك قليل قوي اللي بيقدر يصمد ... بدأ سكة المخدرات من أولها ... سيجارة شيشة ... بانجو حشيش ... حقن وترامادول لحد ما وصل للهيروين
- بسمة : وإنتم كنتم فين وهو بيتغير كدة ؟ أكيد ده محصلش بين يوم وليلة
- شيرين : كل حاجة ممكن تتعمل عملناها ... لكن ولا حياة لمن تنادي ... في شهور قليلة كل رصيده في البنك خلص ... مع إنه كان بيشتغل كتير و بيجيله فلوس كتيرة ... لكن الإدمان خلاه كلب مسعور ... ممكن يعمل فينا أي حاجة عشان تذكرة هيروين ياخدها في معادها ... كان بيقعد بالأيام والأسابيع منعرفش عنه حاجة وفجأة نلاقيه داخل في نص الليل زي الشبح عمال يقلب في البيت كله ... ياكل حاجة يشرب حاجة يسرق حاجة وينزل تاني ... لحد ما كنا في سنة رابعة و مرة واحدة لقينا البوليس جاي بيدور عليه وبيقولنا إنه شريف وتلاتة أصحابه

سرقوا عربية وضربوا صاحبها وبعدها بساعات لقوا واحد منهم في العربية ميت نتيجة جرعة هيروين زايدة والباقي هرب ... مسكوا واحد منهم وبيدوروا على شريف و واحد كمان ... قعدنا ٦ شهور منعرفش حاجة عن شريف ... يا ترى مات ؟ اتسجن ؟ مستخبي فين ... وبعد ٦ شهور لقيناه بيتصل بينا من إيطاليا

- نادين "بتصفيق حاد" : يابن اللعيبة ... والله أخوكي ده برنس ... كملي كملي
- شيرين : بالرغم من العذاب والإهانة اللي شفتهم على إيد شريف سنين ... إلا إنه كان أخويا برضه وتوأمي ولسه فيه حاجة جوايا رافضة تكرهه ... مع إني ياما شفت منه ضرب وسرقة وشتيمة وفضايح وحركات قذرة كرهتني في كل صنف الرجالة ... ده أنا كنت بنام قافلة الباب عليا بالمفتاح من خوفي منه ليعمل فيا حاجة
- ليلى : للدرجة دي ؟
- شيرين : وأكتر ... هو طول الوقت مش في وعيه ... ده دخل مرة على ماما وهي بتستحمى عشان كان مزنوق
- بسمة : نهار أزرق ... وعمل إيه ؟
- شيرين : عااااادي جداً ... دخل زي أي كلب بلدي ماشي في الشارع ... عمل اللي عليه وقام قافل بنطلونه وخارج ... وماما واقفة هتتشل منه مش قادرة تنطق
- نادين : أكيد ارتاحتوا منه ومن قرفه

- شيرين : من وقت للتاني ببيكلمنا ... هو بيقول إنه سافر بعد صاحبهم اللي مات ده وقعد مع ناس أردنيين أصحابه من أيام ما كنا في قطر وعايشين دلوقتي في إيطاليا ... وقال كمان إنه اتعالج من الإدمان وبقى كويس وبيشتغل ... وقريب هيتجوز كمان وحاجة زي الفل
- عاصم : مش كفاية شريف بقى وتكلمينا شوية عن شيرين ؟
- شيرين : مانت عارف اللي فيها يا دكتور ... مانا لازم أحكي عن شريف عشان تفهموا بعد كدة شيرين
- عاصم : أكيد
- شيرين : أكيد بعد اللي حصل أنا وماما اتطمنا على شريف ... لكن بعد ما كنت عشت خمس سنين كرهوني في حاجات كتيرة قوي ... اتخرجت من الجامعة ... قعدت شوية في البيت ... كنت مقيمة على النت ... ولا زلت بصراحة ... بعد فترة من القعدة اشتغلت في شركة أثاثات مودرن ... اتقدم لي جارنا كريم ... مكنتش أعرفه كويس إلا إن مامته كانت علاقتها كويسة بماما ... وعاشوا معانا أصعب فترات حياتنا وعارفين عننا كل حاجة ... بعد فترة خطوبة قصيرة اتجوزنا في شقته بنفس العمارة اللي احنا فيها ... و دي حاجة كانت مريحاني جداً خصوصاً إني هكون قريبة جداً من ماما .
- ميار : مامتك بس ؟ مانتي بقيتي جنب مامته هو كمان يا فالحة ؟
- شيرين "ضاحكة" : مش كنتي تقولي من بدري ... يلا اللي حصل حصل بقى
- نادين : إيه عملتلك إيه الست دي ؟ ... قولي بس وإحنا نظبطهالك

- شيرين : مامت كريم كانت ست حشرية ومتسلطة قوي وهو مش بيحب يزعلها ولا يكسر لها كلمة ... فكانت النتيجة الطبيعية إنه الكلام ده ييجي على حسابي ... سبت الشغل وإحنا لسه مخطوبين لما كريم أقنعني إنه ده في صالحي ولمصلحة بيتنا ... شفت فيه الإنسان المهذب اللي هيخاف عليا ويكرمني أنا وماما بعد البهدلة اللي عشناها من ساعة وفاة بابا ... واتجوزنا ... وفي ليلة العمر بعدما اتقفل علينا باب وبقينا لوحدنا لأول مرة ... انهار كريم وبكى واعترف لي إنه عاجز جنسياً
- ميار : يابن الكلب ... ولما هو متنيل على عينه كان بيرتبط بيكي ليه من أصله
- شيرين : فضل يبكي ويبكي زي الأطفال الصغيرين ... وحلفني إني مفضحوش خاصة قدام مامتي ومامته وإنه بيحبني وهيعوضني عن كل حاجة ... صعب عليا جداً مع إنه خدعني وكدب عليا ... وحسيت إني مينفعش أفضحه وإني لازم اصبر وأرضى بقسمتي لحد ما ربنا يفرجها من عنده
- ليلى : اسمحيلي يعني أنا مش معاكي خالص في النقطة دي ... انتي لسه في بداية حياتك ليه تربطي مصيرك بمصير واحد غشاش زي ده ؟
- شيرين : رضيت بالأمر الواقع ... وقلت أنا وكريم نعيش لبعض ... وفضلت أحاول أدور على حل أو علاج ليه مدة طويلة ... وفعلاً جربنا أكتر من حد ... وسافرنا مرة واتنين ... طبعاً الناس كانوا بيفتكرونا بنسافر نتفسح ... ومحدش فيهم يعرف الحقيقة

- بسمة : وفضلتم كدة كتير
- شيرين : تلات سنين بالظبط ... ومن أول شهر فيهم مامته بتقعد تسأله ... مفيش حاجة جاية في السكة ؟ ... إيه الأخبار ؟ ... لازم تكشف على مراتك ... وكلام الحموات ده ... ولما ماما كانت تسألني كنت أقولها لسه بدرس وكله بأوانه ... كريم كان بيبقى هيموت كل مرة بيتسأل فيها وكان مقدر قوي إني باخد أسئلتهم بهزار مهما كانت بتوجع ومهما كان فيها اتهام ليا أنا شخصياً ... في الفترة دي طباعه اتغيرت ... بقى عصبي شوية ... بيقعد برة البيت كتير ... بيزعق ويمد إيده كمان ... لحد ما في مرة بعد رحلة علاج من رحلاتنا اتقال له حرفياً إنه خلاص بقى زي الفل وإن المعجزة اتحققت ... كنت طايرة من الفرحة يومها وهو كان بيتنطط ... حضني كتير قوي وكأنه أول مرة في حياته يحضني ... باسني في وسط المستشفى وباس إيديا وراسي ورجلي ... مرجعناش على مصر وفضلنا قاعدين هناك أسبوعين لفينا أوروبا وعملنا شهر عسل كان متأجل طوال ٣ سنين .
- ليلى : الحمد لله ربنا عوض صبرك خير
- شيرين : كنت فاكرة كدة زيك بالظبط ... رجعنا مصر وقبل ما نكمل أسبوع اكتشفت على موبايله محادثات مع واحدة يعرفها من سنين ... قعدت أقلب فيها لقيته بيشتكي لها مني ومن إهمالي ليه ... والمصيبة إنه كان لسه باعتلها وإحنا هناك وبيوعدها بالجواز
- نادين : انا ماسكة نفسي بالعافية ... أشتم يا دكتور ؟ ... أشتم ؟

- عاصم : لا أنا سبقتك ... عملت الواجب و زيادة أول ما عرفت اللي حصل
- شيرين : واجهته بالرسايل ... اتصدم ... معرفش يرد ... قلتله دي مكافأة التلات سنين اللي فاتوا ؟ ... دي الهدية اللي هتقدمهالي ؟ ... حس بغلطته واعترف لي إنه قعد فترة كبيرة متلخبط ومش طبيعي ... حلف لي إنه هيقطع علاقته بيها نهائياً ... لكن خلاص أنا بالفعل كان فاض بيا ... طلبت الطلاق ... قال لي طب خدي فرصة تفكري قلتله لا أنا قررت خلاص ... وبالفعل تم الطلاق بمنتهى الهدوء واتفقنا نقول لأهلنا إنه مفيش نصيب من غير أي تفاصيل ... ومن يومها وهو بيحاول إنه يرجعني تاني ولسه عنده أمل ... بيتصل بيا كتير وبيبعتلي رسايل شبه يومياً ... لكن أنا خلاص فقدت الثقة فيه وفي نفسي وفي كل حاجة حواليا ... قعدت في البيت وعشت بين الفضائيات والمنتديات والفيسبوك ... واحدة صاحبتي أو نقدر نقول صاحبتي الوحيدة عرضت عليا أخرج من الكآبة دي وأشتغل وأبدأ من جديد ... مكانش ليا نفس أو استعداد للشغل ... سمعت عن جمعية خيرية مشهورة طالبة متطوعين ومتطوعات ... رحت قدمت من سنة ... وجربت عالم جديد جميل نظيف فيه ناس بتحب تعمل حاجة حلوة بدون مقابل ... بقيت أروح دور مسنين وأيتام ... مستشفيات ومدارس ... مساعدات هنا وهناك ... نعمل رحلة ... حفلة ... نفطر صايمين ... عالم جميل مكنتش أعرف عنه حاجة ... بس كل ده مقدرش يخليني أتعود أثق في أي حد حواليا

مهما كان كويس ... ومقدرش يرجع ثقتي بنفسي ... و دي كانت حكاية شيرين ... نرجو أن نكون قد أسعدناكم ... وإلى اللقاء .

- نادين : بصراحة إنتي فاجئتيني ... كل ده مخبياه وساكتة ؟
- شيرين : الحمد لله ... والدنيا ماشية وإحنا ماشيين معاها
- ليلى : ربنا يكرمك يا شيرين ... ويوفقك في اللي جاي ... حلوة الدنيا اللي إنتي ماشية فيها دي من زمان نفسي أجربها ... وقريب قوي هكلمك وأجي أخوض التجربة
- شيرين : إنتي تنورينا ... وبجد هتنبسطي وهتفرق معاكي قوي
- عاصم : طيب ... أنا شايف إنه إحنا نكتفي بهذا القدر النهاردة ... وجبة دسمة جداً اتعرفنا فيها على شخصيتين أجمل من بعض ... والفترة الجاية هيكون لهم دور كبيرة في عيلتنا الصغيرة دي ... حد حابب يقول لنا حاجة قبل ما ننهي ؟
- ميار : لا تمام قوي كدة
- نادين : أنا برضه معنديش حاجة ولا أسئلة
- عاصم : يبقى أوك نشوفكم على خير في نفس الزمان والمكان إن شاء الله ... استني إنتي يا بسمة متمشيش ... ربع ساعة بالظبط هنرتب فيها شوية حاجات
- بسمة : أوك يا دكتور ... مفيش مشكلة لسه الوقت معانا
- عاصم : تمام ... شكراً ليكم كلكم ... معادنا التلات الجاي ... وبرضه بنأكد أي حد حابب يشرفني في أي وقت يتفضل ... المكان مكانكم ... وتحت أمركم دايماً

انصرف الجميع في هدوء ... واتجهت مع الدكتور عاصم إلى مكتبه ... دخلنا المكتب ... سبقني بعدة خطوات واتجه إلى مكتبه وفتح أحد أدراجه وأخرج منه علبة أنيقة وأعطاني إياها مبتسماً

- و دي بقى عشان زعلتك المرة اللي فاتت ومشيتي وإنتي مقموصة
- إيه ده ؟
- دي هدية بمناسبة شم النسيم كل سنة وإنتي طيبة
- هدية ؟ شم النسيم ؟
- خلاص بقى متبقيش غلسة وتحرجيني أكتر مانا محرج ... أنا بعتذرلك يا ستي على اللي عملته وقلته المرة اللي فاتت ... وأوعدك أنها أول وآخر مرة ... ومتاخديش على كدة ... مش كل شوية بقى تتقمصي عشان أصالحك بهدية
- إنت غريب جداً على فكرة
- غريب إزاي يعني ؟
- هادي جداً وعصبي بشكل مبالغ فيه ... بتعشق شغلك وتقريباً يومك كله في العيادة وبرضه أسرتك أهم حاجة في حياتك ... واضح قوي وغامض جداً ... حاسة إنك بتعيش مع الحالات بتاعتك وكأنهم متربيين معاك ... وبرضه مش فاهمة دماغك ... أنا لحد دلوقتي مش عارفة على أي أساس اخترت الأربعة دول من بين أكتر من ٣٠٠ حالة موجودين مع حضرتك ... إيه الرابط اللي بينهم ؟ ... أو عاوز توصل لهم إيه من خلال بعض ؟ ... كنت حاسة إني فاهماك قوي لكن كل يوم بكتشف إني مش فاهمة أي حاجة

- وإنتي ليه معقداها قوي كدة ؟ ... الحكاية أبسط مما تتخيلي ... وصدقيني هتعرفي كل حاجة في وقتها
- إن شاء الله ... إن شاء الله
- كل اللي أقدر أقولهولك متستعجليش على حاجة ... اطمني ... إنتي مستقبل المكان ده يا بسمة ... أنا حاطط ثقة كبيرة عليكي ... أرجوكي متخذلينيش

دائماً نبرة صوت عاصم بها شئ مختلف يجعلك تتعاطف معه وتستجيب له وتنفذ له ما يريد بمنتهى القناعة والرضا ، وبالفعل اقتنعت بكلامه و شكرته على هديته الثمينة التي كانت عبارة عن قلم ذهبي أنيق ، عرض علي أن يوصلني إلا أنني كنت بحاجة إلى المشي بمفردي قليلاً .

الثلاثاء ١٥ يونيو ٢٠١٠ الساعة ٥ مساء

أمن دولة

خلال أقل من ثلاثة شهور بعد تشكيل مجموعة "العائلة" كما يحب دكتور عاصم أن يسميها استطعنا أن نشكل فريقاً متناغماً بشكل فاق أحلامي وتوقعاتي ، أصبحنا جميعاً نتبادل الاتصالات والرسائل بشكل يومي ، ذابت كل الفوارق السنية والاجتماعية فيما بيننا ، استطاع عاصم بأقل مجهود أن يجعل الأربعة وحدة واحدة كل منهم يبادل الآخر نفس الحب والاحترام والثقة والاهتمام ، فكنا نتقابل خارج العيادة في أوقات مختلفة من الأسبوع ، نتناول الغداء في مركب على النيل ، أو نذهب إلى السينما سوياً ، فهمت لماذا حرص الدكتور عاصم على وجودي داخل المجموعة منذ بدايتها ، لأنه كان يعتقد أن هذه اللقاءات والخروجات "نسائية جداً" بحسب قوله ، وأنه يريد لنا أن نكون أكثر حرية دون التقيد بوجود رجل في خريف العمر .

وخلال هذه الفترة استطعت أن أكون فكرة شاملة عن كل صغيرة وكبيرة في العيادة ، كنت نعم العون للدكتور عاصم في جمع المعلومات وترتيبها ، حضور جلسات العلاج الجمعي التي بدأ ينظمها لمجموعات أخرى ، أعجبه أسلوبي وحبي الشديد لعملي ، مما زاد من ثقته بي وأثبت له حسن اختياره لي منذ البداية ، اقتربت من عاصم كثيراً مع مراعاة الخطوط الحمراء التي يفرضها على نفسه والمحيطين به ، وكان أكبر اختراق لهذه الخطوط مناداته إياي باسم "دكتور بوسي" حينما نكون على انفراد ، وكان لها مذاق خاص

بالنسبة لي خاصة عندما بدأت أشعر أنه يبادلني نفس الإعجاب ، وأنني بالنسبة له أكثر من مجرد "دكتور بوسي" .

وفي أحد الأيام وبينما أنا وعاصم في المكتب منهمكين في مناقشة عدد من النقاط قبل اجتماع "العيلة" إذا بصوت عدد من الأشخاص يتحاورون بغلظة مع عم سليمان ، انتبه الدكتور عاصم سريعاً ونادى على عم سليمان

- عم سليمان ... فيه إيه عندك ؟ ... إيه الدوشة دي ؟

وقبل أن يكمل جملته اندفع داخل المكتب ستة أشخاص ضخام الأجسام قساة الملامح ، تجمعهم جميعاً عدد من الصفات الجسدية بخلاف الطول الفارع والتكوين العضلي الواضح ، حيث اتسموا جميعاً بالهالات السوداء التي تصاحب أهل السهر والشفاه السوداء التي تنم عن شراهة التدخين بالإضافة إلى الشوارب الغليظة المميزة لهذه الفئة من الناس ، بعد دخول الستة دخل وراءهم شاب يبدو مختلفاً تماماً عنهم من حيث الملابس والشكل ، ومع أنه جلياً انه يصغرهم بسنوات إلا أنه كان واضحاً أيضاً أنهم جميعاً يأتمرون بأمره ، ظل الستة واقفون في أماكنهم كالتماثيل المنحوتة الموزعة في أنحاء المكتب ، أما هو فقد سحب مقعداً بهدوء وجلس واضعاً قدمه اليمنى على اليسرى وأشعل سيجارته بكل هدوء وثقة ثم قال :

- إنت عاصم النجار ؟
- اسمي الدكتور عاصم عبد الحميد النجار ... إنت مين بقى ؟
- رد على أسئلة الباشا واتكتم لحد ما يأذن لك ... فاهم ؟ "قالها أحد الستة بصوته الجهوري"

- باشا ؟ ... آه فهمت ... طب تمام ... تحت أمركم ... خير
- حاجة صغيرة هناخدها في خمس دقايق وهننزل على طول
- حاجة ؟ ... حاجة إيه ؟
- نسخة ... نسخة من ملفات الحالات اللي عندك وياريت لو تحطهالنا على سي دي بدل ما نقعد نشيل ونحط ونصور ونص الورق يضيع ... و ده شغلك مش عاوزين نلخبطهولك
- بس اللي حضرتك بتطلبه ده مستحيل ... أنا دكتور ... و دول المرضى بتوعي ... و دي أسرارهم الشخصية اللي القانون بيحميها
- قانون مين يلا ... أنا القانون ... واللي عاوزه هاخده ... بمزاجك أو غصب عنك ... فخليها بمزاجك أحسن
- يلا ؟ ... ممكن أعرف حضرتك مين بالظبط ؟
- آه ممكن ... قوي قوي ... معاك الرائد أدهم ... من مباحث أمن الدولة
- ومباحث أمن الدولة عاوزة مني أنا إيه ؟ ... أنا لا من أرباب السوابق ولا ليا أي نشاط يذكر
- إنت بترغي كتير ليه ؟ ... قلتلك عاوزة الملفات اللي عندك ... اخلص بقى ورانا شغل

هنا دخل عم سليمان محاولاً إنقاذ الموقف ، ومنبهاً عاصم أن "العيلة" في غرفة الاجتماعات في انتاظار بدأ الجلسة

- سليمان : لا مؤاخذة يا دكتور ... الناس في غرفة الاجتماعات منتظرين حضرتك ... أقول لهم إيه ؟
- عاصم : قل لهم يبدأوا ياعم سليمان ... ربع ساعة وهكون معاهم

- أدهم : واثق من نفسك قوي ... على فكرة لو مش هتتعاون معانا هنضطر نلجأ لأساليب أنا شخصياً بحبها جداً ...
- عاصم : للأسف كان نفسي أساعدكم ... بس مش هقدر ... شوف البهوات يشربوا إيه يا عم سليمان ... شرفتونا ... بعد إذنكم مضطر أنسحب عشان عندي شغل
- أدهم "بأعلى صوت" : شغل مين يلا ؟ ... أنا اللي أقول مين يقعد ومين يمشي ... مسروع على إيه ؟ وإيه حكاية الاجتماع ده كمان ؟ ... تعالى بقى فرجني على اجتماعاتك عشان أعرفك مقامك قصادهم
- عاصم : من فضلك كفاية تجاوزات لحد كدة ... أنا دكتور محترم والعيادة دي ليها سمعتها
- أدهم "موجهاً كلامه إلى رجاله" : هاتولي الدكتور المحترم والحلوة اللي معاه وحصلوني ... فين الاجتماع ده ؟

كنت في حالة ذهول تام ، لم أرى مثل هذه المواقف إلا في أفلام السينما ، لا أعلم ماذا يحدث ، وليست عندي المقدرة على التنبؤ بما سيحدث في الدقيقة التالية ، أمسك بي اثنان من رجال أدهم وأمسك آخران بالدكتور عاصم وقادونا إلى غرفة الاجتماعات حيث كانت "العائلة" تنتظر ، فتح أحد رجال أدهم الباب ودخلنا جميعاً وسط دهشة و ذهول ليلى وشيرين وميار ، حيث لم تكن نادين قد أتت بعد

- أدهم : الله الله ... إيه الاجتماع الحريمي ده ؟ ... ده إنت طلعت بتاع نسوان بقى

- ليلى : إيه ؟ نسوان ؟ مين ده يا دكتور عاصم ؟ و إزاي بيتكلم معانا كدة ؟
- أدهم : بس يا ست إنتي لما اديكي الإذن تبقي تتكلمي
- عاصم : أدهم بيه اللي بتعمله ده عيب وميصحش وغير قانوني
- أدهم : ممكن تسهلها على نفسك وتسهلها علينا ، ولا عاجبك منظرك الزبالة قدام النسوان بتوعك
- عاصم : وأنا قلتلك اللي عندي
- أدهم : حلو ... حلو قوي ... يبقى إنت اللي اخترت

أخذ أدهم جولة خلال غرفة الاجتماعات مختالاً بخطوته وسلاحه الميري الذي يمسكه ، دار حولنا كأكثر الكلاب البوليسية تدريباً ، اقترب من كل واحدة فينا على حدة ، تفحص أجسادنا بعينيه وأنفه ثم عاد إلى منتصف الغرفة و واجهنا جميعاً وكأنه يمثل مشهداً في مسرحية .

- أدهم : بصوا بقى ... باختصار شديد جداً إحنا أمن دولة ... عاوزين حاجة من الدكتور عاصم وهو مش راضي يديهالنا ... ومصمم على كدة ... قدامكم حل من اتنين ... يا إما يسمع الكلام يا إما هنقلعكم كلكم وننزلكم الشارع عريانين ونعمل لكم أحلى زفة و نلبسكم قضية آداب زي اللوز ... ها ... قلتم إيه ؟

كانت كلماته وأسلوبه كفيلة بانهيار أكثر النساء قوة ، مجرد تخيل المنظر الذي نحن مقبلون عليه يجعلنا جميعاً نشعر بالغثيان كأقل رد فعل يمكن تصوره ، صرخنا من الرعب ، واستمتع أدهم ورجاله بنظرات الرعب في

عيوننا ، أخرج أدهم هاتفه المحمول وأجرى اتصالاً هاتفياً ليمعن في قهرنا وحصار عاصم نفسياً .

- أيوه يا أشرف بيه ... عندي ليك قضية آداب طازة ... دكتور يا سيدي فاتح عيادة و مدورها دعارة ... ولقينا عنده شوية نسوان كسر كدة عاوزين نعمل لهم حفلة ونكشف عليهم آداب ... آه أربع نسوان أعمار مختلفة ... هات معاك كام ملاية عشان نسترهم برضه حرام عشان الفضايح ... وهاتلي كام عيل من الشارع وانت جاي عشان مش هينفع القضية تبقى نسوان بس من غير رجالة ... "وأطلق ضحكة عالية" ... قديم إنت يا أشرف بيه ... يلا مستنيك متتأخرش

كان الجميع يتوسل من أجل أن ينتهي ذلك الكابوس ، و لا يزال عاصم مصمماً على موقفه ، ولاحظ أنني على وشك الانهيار وإعطائهم ما يطلبون ، فحاول أن ينقذ الموقف

- عاصم : طب أوك خلاص أنا هديك اللي انت عاوزه بس اديني فرصة أجمع لك الحاجة وبكرة أديهالك
- أدهم : ده انت كمان بتلاعبنا بروح أمك ... "ثم صرخ فينا" ... يلا يا مرة يا بنت الكلب انتي وهي ... اللي مش هتقلع بالذوق هخلي الرجالة يقلعوها بطريقتهم ... وأظن انتم فاهمين .
- ليلى "منهارة" : ابوس إيدك أنا زوجة وأم ... اللي حضرتك بتطلبه مننا ده حرام ... حرام
- أدهم : هو اللي منشف دماغه

- ليلى : وأنا لا يمكن أعمل كدة
- أدهم : كدة ؟؟؟ ... طب براحتكم بقى يا رجالة

عند هذه الجملة كنا بالفعل أنا وميار وشيرين بدأنا في خلع ملابسنا بكل مشاعر الذل والخزي والقهر والعار التي يمكن تصورها ، أما ليلى فقد انقض عليها أربعة من رجال أدهم وطرحوها أرضاً وبدأوا في تمزيق ملابسها وسط صراخنا الذي لا يجد من يستجيب له ، وفجأة دخل علينا أحدهم ، وما إن دخل حتى وقف الجميع .

- أدهم : فؤاد باشا ... المتهم رافض يتعاون معانا ... لكن خلاص دقيقة واحدة وهكون مديك تمام
- فؤاد : إيه اللي أنا شايفه ده يا أدهم
- أدهم "متلعثماً" : معاليك قلت عاوز الملفات بأي طريقة ... وأنا اتصرفت
- فؤاد : وانت خلاص مبقاش عندك إلا الطرق الوسخة دي ... اتفضل يا حضرة الظابط استناني تحت انت والبهايم اللي معاك
- أدهم : يا فندم خليني معاك أو حد من الرجالة ... عشان لو حصل حاجة
- فؤاد : حاجة إيه يابني ... انت مش عارف تميز ؟ ... حد في دول ممكن يخطفني مثلاً
- أدهم : يا فندم أنا ...
- فؤاد : قلت اتفضل يا حضرة الرائد ... استناني تحت ... وحسابي معاك بعدين ... بهايم ... بهايم ولا يعرفوا يتعاملوا مع بني آدمين أبداً

أحسسنا أن الكابوس قد انتهى ، بدأنا نلملم شتات أنفسنا قبل ملابسنا ، وهنا وقف فؤاد محاولاً إبداء شئ من الأسف والاعتذار .

- فؤاد : انا متأسف يا جماعة على سوء التفاهم اللي حصل
- شيرين : متأسف ؟؟؟ ... يعني إيه متأسف ؟؟؟ بالبساطة دي ؟؟؟
- ليلى : والله العظيم ما هسكت حتى لو فيها موتي
- فؤاد "وقد تبدد قناع الأسف والاعتذار سريعاً" : خلاص .. أنا قلتلكم أنا آسف ... خلصونا بقى ... اتفضل معايا يا دكتور نسيب الهوانم يهدوا شوية ... وابقى ارجع لهم تاني

هم عاصم بالخروج معه وتبعه فؤاد الذي وقف على باب الغرفة واستدار لنا وقال :

- مين فيكم بسمة ؟

وكأن صاعقة نزلت من السماء فأصابت لساني الذي عجز عن الرد ، وبصعوبة بالغة رفعت يدي اليمنى كي يعرف أنني أنا صاحبة الاسم ، فابتسم وقال :

- ياريت تتفضلي معانا ... ده بعد إذنك يعني

تركت الغرفة وسرت وراءهم أجر قدماي ، لا أعلم ما المصير الذي ينتظرني ولا أعلم كيف لهذا الغريب أن يعرف اسمي دون شكلي ، وفي مكتب الدكتور عاصم كنت أجلس على الأنتريه أنا وعاصم ... وثالثنا فؤاد .

- فؤاد : بكرر اعتذاري على اللي حصل يا دكتور وأرجو إنك تتفهم موقفي
- عاصم : اعتذارك وموقفك ؟ هو أنا أعرفك عشان أعرف اعتذارك وموقفك
- فؤاد : عندك حق ... ماشي ... أنا العميد فؤاد مروان ... والد ... نادين فؤاد مروان

لا أعلم هل كان تأثير الصدمة أم تأثير الجرعة الأمنية القاسية التي تعرضنا لها ، ولكن ما أعرفه أنه بعد لحظة واحدة من نطق اسمه ... فقدت الوعي تماماً .

بعد مرور لحظات أو دقائق – لا أعلم تحديداً كام كانت هذه الفترة – وجدتني ممددة على الكنبة و عاصم يضمني إليه ممسكاً لرأسي بيسراه ويحاول إفاقتي بزجاجة عطره بيده الأخرى ، كانت تلك أول مرة أقترب من عاصم إلى هذا الحد ، أحسست أنني في حلم جميل أخرجني منه صوت هذا الكائن المسمى فؤاد .

- فؤاد : اجمدي يا دكتورة ... خضتينا عليكي
- عاصم : حمدالله ع السلامة يا بسمة
- بسمة : الله يسلمك
- فؤاد : خلصونا بقى في يومكم ده
- بسمة : إنت عاوز مننا إيه ؟ ... وعرفتنا إزاي ؟

- فؤاد : السؤال التاني ده ميتسألش لواحد في مكاني ورتبتي ... أنا أسهل حاجة عندي المعلومة ... أما سؤالك الأولاني أنا هجاوبك باختصار ... أنا عاوز الملف بتاع نادين ... كل كلمة قالتها ... كل الناس اللي اتعرفت عليهم هنا من أول حارس العمارة لغاية أي حد قال لها في يوم مساء الخير .
- عاصم : ممكن أعرف ليه
- فؤاد : إنت عارف معناه إيه إن واحد زيي داخل على منصب حساس في الدولة ويتعرف إن له بنت بتتعالج عند دكتور نفسي ؟ ... أنا مش عاوز أتدخل في تفاصيل شغلك ولا يهمني هي قالت إيه عنها وعننا ... كل اللي يهمني إن المعلومات دي متوصلش للناس الغلط ... ونقفل الصفحة دي وتنسوها وتنساكم
- عاصم : الناس الغلط ؟
- فؤاد : أيوه الناس اللي عاوزة تهدم الدولة وتضرب رموزها الوطنية وقيادتها
- بسمة : إنت مصدق نفسك ؟
- فؤاد " وقد هب واقفاً" : نعم ؟
- عاصم : ثواني يا بسمة لو سمحتي
- بسمة : ثواني إيه وبتاع إيه ... هو عشان يحمي نفسه وبنته يقوم يعمل فينا كدة ؟
- عاصم : بسمة من فضلك اهدي شوية ؟

- بسمة : اهدى ؟ ... بتقولي اهدى ؟ ... إنت نسيت كان هيحصل فينا إيه من دقايق ؟ مستوعب الفضايح اللي كانت هتطاردنا طول حياتنا بسبب حتة عيلة مش متربية حشاشة مستهترة أبوها مش قادر يبقى راجل مع مراته وعياله وجاي يتشطر علينا إحنا .

لا أعلم كيف وصلت بي الجرأة كي أقول هذا الكلام ، كنت أتحدث دون قيد ، أنظر إلي عينيه ، أجلده بكلماتي ، أصب عليه غضبي صباً ، وفجأة جلس فؤاد ثانية وقد تحول الوحش بداخله إلى إنسان ضعيف منكسر .

- فؤاد : حشاشة ؟ ... نادين ؟ ... بنتي ؟ ... إنتي أكيد بتكدبي ... إنتي كدابة
- بسمة : مش عامل فيها أبو العريف وعارف كل كبيرة وصغيرة ؟
- فؤاد "منهاراً" : كفاية ... كفاية أرجوكي
- بسمة : لا مش كفاية ... بدل مانت خايف على اسمك ومنصبك وعامل فيها شمشون الجبار ، روح لم لحمك الأول
- عاصم "وقد لاحظ انهيار فؤاد" : خلاص يا بسمة ... كفاية كدة
- فؤاد : هي نادين قالت لكم عني إيه ؟
- عاصم : ده اللي يهمك ؟ ... قالت إيه ؟ ... مش مكسوف من نفسك وانت ليل نهار شاغل نفسك بالدولة والنظام اللي بتقول إنك بتحميهم ومش عارف تحمي أهلك وبيتك ؟
- بسمة : البنت حياتها اتدمرت ... وانت ناسي إنك أب وليها عليك حقوق

كان فؤاد جالساً ممسكاً رأسه بكلتا يديه وفجأة نظر إلياً رافعاً حاجبيه وقهقه ضاحكاً وبدأ يصفق ويضرب الأرض بقدميه ثم أشار إلينا وقال متهكماً

- فؤاد : والله برافو عليكم أنت الاتنين ... والله كنت هصدقكم ... لا لا لا إنتي تسيبك من الشغلانة دي وتطلعي من هنا على الحاج أحمد السبكي على طول وهو هيكتشفك ... تحبي أكلمهولك ؟
- بسمة : إنت لا يمكن تكون بني آدم
- عاصم : انت فاكرنا عاملين عليك فيلم ؟
- فؤاد : وليه لأ ؟ وليه متكونش بتعمل عليها شغل ومجندها بدون ما تشعر عشان تجيبلك أسراري وأخباري ؟
- عاصم : أخبارك وأسرارك ؟ أنا كل اللي يهمني مصلحة البنت ومستقبلها
- فؤاد "غاضباً" : مش شغلك ... أنا اللي أقول فين مصلحة بنتي وإيه اللي يضرها ... ولمصلحتك إنك تبعد عنها خالص اليومين دول ... وعلى العموم إنت مش هتشوفها تاني لحد ما أشوف حكايتها إيه ... وإن طلعت حكايتكم دي تمثيلية ... أنا مش هرحمكم
- عاصم : ليه ؟ ... إنت ناوي على إيه ؟
- فؤاد : نادين وأمها محبوسين في البيت دلوقتي ... تقدر تقول كدة عامل لهم تحديد إقامة
- عاصم : إيه ؟
- بسمة : دكتور عاصم ... هو مش متخيل نادين ممكن تعمل إيه ... فهمه

- فؤاد : متقدرش تعمل حاجة ... أنا قبل ماجي هنا حبستهم في البيت وعينت عليهم حراسة ومفيش معاهم لا نت ولا موبايل ولا أي وسيلة اتصال بالعالم الخارجي

هنا يرن المحمول الخاص بفؤاد ، فينظر إليه بشئ من القلق ثم يرد

- فؤاد : أيوه يا جمال ... اتكلم بالراحة مش فاهم منك حاجة ... إيه ؟ ... بتقول إيه ... امتى ده حصل ؟ ... والهانم فين ؟ ... خدها بسرعة على مستشفى السلام الدولي وأنا هحصلك .. بسرعة يا بني آدم
- بسمة : مستشفى إيه ؟ ... نادين جرالها حاجة ؟
- فؤاد : نادين قطعت شرايينها ... جننتوا البت يا ولاد الكلب ... والله ما هرحمكم
- عاصم : انت هتقعد تزعق وتسيب البنت تموت ؟ .... يلا بسرعة ننزل نلحقها ... أنا هنزل معاه يا بسمة ... خليكي إنتي هنا

في لحظات أسرع عاصم وفؤاد لإنقاذ نادين ... ولم أستطع تنفيذ تعليمات عاصم بالبقاء في العيادة وقررت اللحاق بهما كما قررت ليلى الذهاب معي بالرغم من كل ما حدث ... عجباً لهذه المرأة ، ذهبنا إلى المستشفى في سيارة ليلى ، وفي الطريق قمت بالاتصال بعاصم وعلمت منه أن نادين حاولت الانتحار بقطع شرايين يدها اليسرى بآلة حادة ، وبالرغم من أن الجرح لم يكن بالغ العمق إلا أنها قد نزفت الكثير من الدماء ، أخبرني عاصم برقم غرفتها و في دقائق كنت أنا وليلى أمام الغرفة نتابع حالتها عبر الحائط الزجاجي .

كان المشهد تراجيدياً بالدرجة الأولى ، نادين بجسدها النحيل الشاحب ممدة على سريرها ومحاطة بعدد من الأجهزة والأسلاك والمحاليل ، فؤاد يجلس عند قدميها ممسكاً إياها بلطف وأسى وكأنه يريد تقبيلها من الندم ، فارس شقيق نادين معها في الغرفة ممسكاً بمصحفه ويقرأ القرآن أملاً في أن تسترد أخته عافيتها ، وبالخارج تجلس أم نادين منهارة تجهش بالبكاء ، اقترب منها انا وليلى ولم تشعر بنا حتى ربتت ليلى على كتفها .

- ليلى : إنتي سوزان مامت نادين صح ؟
- سوزان : أيوه
- بسمة : أنا بسمة ... ودي مدام ليلى
- ليلى "ناظرة إلى نظرة ذات مغزى" : إحنا الاتنين من عيادة الدكتور عاصم
- سوزان : آه ... أهلاً وسهلاً
- بسمة : نادين عاملة إيه دلوقتي ؟
- سوزان : هي دلوقتي تحت الملاحظة ... نزفت كتير حبيبتي وضغطها منخفض جداً
- ليلى : الحمد لله إنها جت على كدة ... ربنا ستر
- سوزان "منهارة" : نادين بتروح مني ... أنا السبب ... أنا السبب
- بسمة : متقوليش كدة يا مدام سوزان ... إنتي ست مؤمنة خللى أملك في ربنا
- سوزان "وهي تمسح دموعها" : يا رب .. يا رب ... نادين قالت لكم حاجة عني

- بسمة : آه طبعاً ... دي نادين بتحبك قوي والله
- ليلى "وقد لاحظت ارتباكي" : عارفة أهم حاجة نادين قالتهالنا إيه ؟
- سوزان "وقد بدا عليها القلق" : إيه ؟
- ليلى : قالت لنا إن عندها أم مفيش زيها في الدنيا ... وممكن تعمل أي حاجة في الدنيا عشانها .

لم تتمالك سوزان نفسها ، فأجهشت بالبكاء ، وبكينا لبكائها ، في نفس اللحظة جاء الدكتور عاصم يرافقه أحد أطباء المستشفى ، وحينما شاهدهما فؤاد خرج مسرعاً

- فؤاد : خير يا دكتور عاصم ... طمني
- عاصم : اجمد يا سيادة اللواء ... نادين نزفت كتير بس ومحتاجة شوية متابعة والناس هنا مش مقصرين معاها في حاجة ... هي واضح إنها ضعيفة بس ... "وتابع مازحاً : انتم مش بتأكلوها ولا إيه
- فؤاد : تقوم بس ... تقوم بالسلامة وكل اللي نفسها فيه هعمله والله
- عاصم : هي مش ناقصها حاجة يا سيادة الواء ... إلا حاجة واحدة بس ... وانت عارفها
- فؤاد "مطأطئ الرأس" : مظبوط يا دكتور ... انت صح
- عاصم : مش يلا بينا يا بسمة ولا إيه ... ورانا شغل ... وبكرة هنيجي نطمن عليها ونخرج سوا بيها كلنا بإذن الله
- سوزان : أنا مش عارفة أقولكم إيه والله
- بسمة : أبداً يا فندم ... إحنا معملناش حاجة
- عاصم : إحنا كلنا عيلة واحدة

- فؤاد : خوفك على بنتي وحرصك عليها على راسي يا دكتور ... وإن شاء الله هييجي اليوم اللي أرد لك فيه جميلك ده ... ده الكارت بتاعي ... أتمنى تتصل بيا في أي وقت وأي حاجة أنا ممكن أخدمك فيها
- عاصم "مازحاً" : لا ياعم الله الغني عن الخدمات بتاعتكم دي ... بس على العموم هات الكارت
- فؤاد : تحت أمرك في أي وقت
- عاصم : خد بالك من نادين
- سوزان : ادعيلها يا دكتور
- عاصم : ربنا يعجل شفاها و يطمنا كلنا عليها

وفي هدوء شديد خرج ثلاثتنا – أنا وعاصم وليلى – حيث انصرفت ليلى إلى منزلها بعد توصيلي إلى أقرب محطة مترو ، و انصرف عاصم إلى منزله بعد هذا اليوم العصيب .

الخميس ١٢ أغسطس ٢٠١٠ الساعة ١ ظهراً

زواج عرفي

كما هو معروف فسيولوجياً وسيكولوجياً ورمضانولوجياً أن البيت المصري خلال شهر رمضان المبارك يكون حافلاً بالطقوس التي قد تعد عند البعض بنفس درجة قدسية الصيام والقيام ، والأمر لا يقتصر على العرقسوس والخشاف والكنافة والفوانيس وزينة رمضان ، بل إن الأمر به مجموعة من التفاصيل والتعقيدات التي قد يطول شرحها ، على سبيل المثال لا الحصر فإننا اليوم ثاني أيام شهر رمضان المبارك ، وكما هو معلوم لدى الجميع أهمية عزومة أول يوم في رمضان والتي غالباً ما تكون عائلية بالدرجة الأولى ، ومهما كان عدد الأصناف المتواجدة على مائدة الإفطار والبدائل المتاحة التي تراعي اختلاف أذوق الجميع فإنه من المستحيل أن نغفل عنصرين أساسيين على تلك المائدة المرضانية ألا وهما : المحشي والبط .

لا أعلم سر الارتباط التاريخي بين المحشي والبط ، ولكن ما أعلمه جيداً أننا طوال اليومين الماضيين كنا نعد لهذا الإفطار الذي شرفنا بالحضور فيه خالي وخالتي بأزواجهما وأبنائهما ، والذي جعلني أنا وأمي في معسكر مغلق لإعداد جميع أنواع المحاشي والأطعمة والحلويات والمشروبات ، إلى أن انتهى هذا المعسكر مع غسيل آخر طبق قبل إعداد السحور بلحظات ، وها أنذا أصارع النوم على مكتبي بالمدرسة حتى ينتهي هذا اليوم الخالي تماماً من العمل بحكم أننا في إجازة الصيف ، ومع تمام الواحدة ظهراً قمت أستعد للرحيل وحينها رن هاتفي لأجد أن ميار تتصل بي ، فرددت عليها

- بسمة : يا أندل خلق الله ... لسه فاكراني ؟
- ميار : لا عيب عليكي ... أنا أقدر أنساكي ... وبعدين مش النهاردة الدكتور عاصم عازمنا على الفطار برضه ولا هيخلع ؟
- بسمة : لا تمام في نفس المعاد ... هنتقابل كلنا على بعد العصر بساعة كدة ونتحرك سوا ... أنا أصلاً هكون هناك كدة كدة ... هطلع من المدرسة على هناك دلوقتي
- ميار : طب يلا أنا مستنياكي
- بسمة : مستنياني فين ؟ ... أنا لسه في المدرسة وخارجة حالاً
- ميار : أوك مانا على باب المدرسة أهو يلا انجزي

على باب المدرسة وقفت ميار مستندة إلى سيارة هاتشباك حمراء اللون ، وما إن رأتني حتى قدمت إلى مسرعة واحتضنتني طويلاً

- ميار : والله وحشاني جداً جداً ... يلا تعالي اركبي مفيش وقت ؟
- بسمة : لا متقوليش ... عربية التخرج أكيد
- ميار : طبعاً طبعاً ... الحاج طلع جدع ونفذ وعده
- بسمة : ماشي ياعم ... ربنا يخليلنا الحاج

ركبت معاه السيارة و في الطريق دار هذا الحوار

- بسمة : إنتي خطفاني ورايحة على فين كدة ؟
- ميار : فرح واحدة حبيبتي كدة ع السريع ونطلع على الفطار بتاعنا
- بسمة : فرح إيه ده اللي الظهر تاني يوم رمضان ؟ كتب كتاب يعني ؟ ... وبعدين فرح إيه اللي إنتي رايحاه بجينز وكوتشي ده ؟

- ميار : متستعجليش على رزقك ... ياخبر بفلوس ... والله وحشاني
- بسمة : وناوية على إيه بعدما اتخرجتي
- ميار : بصي هو مبدئياّ أنا بدأت في كورس هنا ٦ شهور ... قاعدة على قلبكم يعني ... بصراحة مش عاوزة أرجع الاسماعيلية تاني ... كمان فيه حد معرفة جايب لي شغل في شركة سياحة ... يعني رسمي كدة أنا لاجئة هنا
- بسمة : جميل والله ... أنا قلت إنت خلاص بعتنا يا معلم
- ميار : لا والله مقدرش ... كمان برضه مش هعرف أفصل من الشلة

وصلنا إلى أحد الكافيهات في منطقة مدينة نصر ، نزلنا من السيارة ، واتجهنا إلى الكافيه

- بسمة : فرح وكافيه في عز الظهر في رمضان ؟ مش مطمنة
- ميار : والله إنتي عسل ... ادخلي برجلك الشمال ادخلي

ويبدو أنها كانت جادة تماماً حينما قالت "ادخلي برجلك الشمال" ... فلقد كان باب الكافيه هو بوابة "الشمال" حرفياً ... فبالرغم من أجواء رمضان والصيام خارج المكان إلا أن رمضان نفسه لم يجرؤ على اقتحام هذا المكان ... فهذه فتاة شبه عارية تتراقص وتتلوى وقد بدا عليها أثر المخدرات ... وهذا شاب ممسكاً بفتاة ويتبادلان القبلات الساخنة دون أي اعتبار لما حولهما ... وهؤلاء مجموعة شباب يلفون السجائر وحولهم الزجاجات والأكواب الفارغة منها والمملوءة ... وهذه تجلس على رجل ذلك ... وهذا يعبث في جسد تلك .

- بسمة : إيه القرف ده ؟ ... أنا خارجة ... سلام
- ميار : ملناش دعوة يا بسمة ... خليكي في حالك ... هم حرين ... تعالي بس ... إحنا مش هنقعد هنا ... إحنا داخلين جوه
- بسمة : جوه فين تاني ؟ .... لما برة و ده بيحصل ... يبقى أكيد جوه سراير
- ميار "ضاحكة" : وطي صوتك ... والله هننضرب بسببك ... تعالي تعالي

كنا نسير في اتجاه أحد أركان الكافيه ، وبدأت ميار تسلم على كل من يقابلها وتبادله الأحضان والقبلات شاب كان أم فتاة ، حيث بدا وكأنها أحد نجمات المكان ، وفي الركن المنشود كانت هناك جلسة مختلفة قليلاً عن الجو السابق ، حيث كان يبدو أن الموجودين في وعيهم بالنسبة لمن رأيتهم سابقاً ، كان هناك شاب وفتاة يجلسان وأمامهما مائدة صغيرة يستخدمها ثالث في كتابة بعض الأوراق وكأنه يحرر عقداً ما ، وحولهم جميعاً ما يقرب من ٢٠ شاب وفتاة في نفس المرحلة العمرية .

- ميار : آدي يا ستي الفرح ... شفتي البساطة والحلاوة ... "ثم رفعت صوتها لتسمعها الفتاة" .... مبروك يا عروسة ... عاوزينك تعمري شوية أكتر المرة دي
- بسمة : تعمر ؟ ... هي كانت لحقت اتجوزت قبل كدة ؟
- ميار : مرتين بس قبل كدة .... بصي أنا هفهمك عشان ترحميني من أسئلتك ونظراتك دي ... الكافيه ده بنحجز فيه البارتيشن ده بحوالي ٥٠٠ جنيه ... والمحامي اللي قدامك ده بياخد ٥٠٠ زيهم ويكتب أحلى

عقد جواز ... واتنين من الشلة بيمضوا شهود وفل قوي على كدة ... لا شبكة بقى ولا نيش ولا الهري ده كله ... ولو الموضوع قلب بخنقة ممكن نفركش برضه

- بسمة : وهو ده كدة يبقى اسمه جواز ؟
- ميار : لا عيب عليكي بقى انتي نسيتي إني حقوق ولا إيه ؟ ... هو الجواز إيه ؟ مش قبول وإشهار ؟ أدي العريس وآدي العروسة وادي الاشهار وادي العقد ... و مية مية
- بسمة : وفين بيت الزوجية ؟ وفين ولي العروسة ؟
- ميار : برضه الكافيه عنده كام أوضة فوق بيأجرها الليلة ٥٠٠ جنيه لو يعني العرسان مزنوقين وكدة
- بسمة : انتي بتستهبلي ؟
- ميار : والله ده النظام ... وعلى فكرة أغلب الشلة متجوزين مرة واتنين وتلاتة والحياة بيس
- بسمة : وانتي عملتي كدة ؟
- ميار : لا طبعاً ... أنا اتفقت مع وليد إني أخلص دراسة الأول .... وليد الشاب المز اللي جاي ناحيتنا ده ؟ .... ليده حبيبي بالحضن يلا
- وليد "بعد تبادل الأحضان والقبلات" : ميرووووو ... مش يلا بقى ... آدي المحامي والشهود والمعازيم ومش ناقصنا حاجة ... "ثم نظر إلى وقال" : وآدي أم العروسة كمان .... منورة يا حماتي
- ميار : وليد ... بسمة أنتيمتي وبتقفش من الهزار البايخ

- وليد : أوك طالما أنتيمتك يبقى ليها أحلى واجب ... نورتي الفرح يا مزة

قالها ثم جذبني من وسطي وهم بتقبيلي ، ولا إرادياً صفعته بقوة لفتت أنظار الجميع

- وليد : إنتي بتضربيني بالقلم يا بنت ال..
- بسمة : وأضربك بالجزمة كمان
- ميار : خلاص يا بسمة ... بس يا وليد ... مبروك يا عروسة ... معلش يا جماعة عندنا مشوار مضطرين نمشي
- وليد : مش هتمشي يا ميار
- ميار : وليد ... فكك واهدى .. راجعالك بالليل
- وليد : مفيش بالليل ... أنا قلت مش هتمشي ... وهنتجوز دلوقتي ... أنا عامل حسابي
- ميار "وقد همت بالانصراف" : نتجوز دلوقتي ؟ انت أكيد مجنون ... أصلاً مينفعش
- وليد "ممسكاً يدها" : مينفعش ليه ؟ ... هي جت بدري ولا إيه ؟
- ميار "منفعلة" : إنت إنسان وقح و زبالة

صفعها وليد صفعة قوية ، فبادلته ميار الصفعة ، وتدخلت في المعركة وراحل يبادلنا الصفعات والضربات حتى تدخل أفراد الشلة واستطاعوا تفريقنا ، خرجت أنا وميار مسرعتين إلى السيارة ، وداخل السيارة حاولت السيطرة على انفعالاتي بصعوبة .

- بسمة : عاجبك اللي حصل ده ؟ ... ده وليد اللي عوزة تتجوزيه ؟
- ميار : وليد مش كدة أنا عارفاه ... هو بس أكيد فيه حاجة مضايقاه
- بسمة : إنتي كمان بتدافعي عنه ؟
- ميار : صدقيني يا بسمة وليد كويس ... أنا عارفاه من زمان
- بسمة : لدرجة إنك تأتمنيه على نفسك ... وتسلميله نفسك ... هو ده اللي يستاهلك يا ميار ... هو ده الإنسان اللي المفروض إنه يحل محل معتز الله يرحمه ؟

لم أذكر اسم "معتز" ابن خالها صدفةً ، فأنا أعلم تماماً أنها لم ولن تنساه ، وأحسست أن ضربتي أصابة قلبها فتابعت الضرب وهي تحبس دموعها

- بسمة : نسيتي معتز يا ميار ؟ ... بلاش معتز ... نسيتي ميار ؟ ... إنتي عاجبك شكلك ده ؟ ... إيه الجو الزبالة اللي إنتي فيه ده ؟ ... أنا كنت فاكرة إنهم يومين وهيعدوا لما الدراسة تخلص وتبعدي عن الشلة الوسخة دي لكن واضح إني كنت غلطانة
- ميار : عمري ما نسيت معتز يا بسمة ... عمري ما نسيته
- بسمة : لا نسيتيه ... ونسيتي نفسك ... إنتي بتهربي من مين ؟ من عيلتك ولا من نفسك ؟ ... إنتي بتعاقبي مين ؟ ... انتي عاوزة تثبتي إيه ولمين ؟ ... فوقي بقى فوقي
- ميار : عمري ما حبيت إني أكون كدة ... حتى لما كنت بقعد مع الشلة كنت ببقى كارهة منظري بس بحاول أعمل نفسي مبسوطة يمكن اتبسط ... وليد بقاله سنة بيكلمني في الجواز وأنا اللي مأجلة الموضوع ومش عارفة ليه

- بسمة : أنا عارفة ليه ... عشان لسه جواكي حاجة صح ... بتقدر تميز الغلط من الصح
- ميار : تفتكري ؟
- بسمة : إنتي مش شيطان ... ولا ملاك ... زيي وزي كل البشر لازم نغلط ... بس الفكرة في إننا تبقى عارفين إنه الغلط غلط ... ونرجع بسرعة قبل ما الغلط يكبر لأنه ساعتها هيكون الرجوع مكلف قوي ... قوي يا ميار
- ميار : أنا تعبانة قوي ومتلخبطة قوي ... أنا هاجي معاكي أوصلك وبعدين أمشي ... مش هقدر آجي الفطار ... يا ريت تبلغي الدكتور عاصم اعتذاري
- بسمة : بالعكس إنتي لازم تيجي ... أنا هسبقك على هناك وإنتي روحي اغسلي وشك اللي اتبهدل ده وغيري هدومك وتعالي
- ميار : مش هقدر والله ... مش هقدر
- بسمة : والله لو ماجيتي ما هكلمك تاني ... صحيح يا بت إنتي صايمة ولا فاطرة زي العيال الشمامة اللي جوه دي
- ميار : والله صايمة ... شفتي بقى
- بسمة : طب يلا أنا هنزل وأسبقك ... والله لو ماجيتي لأزعل منك
- ميار : أوك هشوف وأكلمك ... باي

انصرفت ميار بسيارتها ، وذهبت أنا إلى العيادة حيث كانت مواعيد العمل في رمضان مختلفة ، دخلت المكتب لأتابع بعض الأعمال ، وماهي إلى دقائق

حتى سمعت صوت طرقات على الباب ، ثم فتح الباب وكانت المفاجأة ... حازم شقيق الدكتور عاصم

- حازم : السلام عليكم
- بسمة : عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ... المهندس حازم عندنا ... يا مرحباً يا مرحباً
- حازم : كل سنة وإنتي طيبة يا دكتور ... عاش من شافك
- بسمة : وحضرتك طيب ... إيه أخبارك وأخبار إسكندرية على حسك ؟
- حازم : تمام والله ... بس برضه مفيش زي رمضان القاهرة ... أنا لازم أنزل أخد غطس كدة القاهرة والسيدة والحسين وأرجع تاني ...وعاصم أخباره إيه ؟
- بسمة : زي الفل ... من ساعة العلقة اللي أخدتها بسببك
- حازم : تعيشي وتاخدي غيرها ... هو فين صحيح ؟
- بسمة : في البيت أكيد ... بياخد الإذن قبل ما ييجي ... أصله عازمنا على الفطار
- حازم : إذن ؟ ... إذن مين مش فاهم ؟ ... وإيه موضوع الفطار ده ؟ أنا هاكل معاكم مليش دعوة
- بسمة : لا والنبي ... الدكتور عاصم مزاجه رايق اليومين دول ... اطلع منها ... هو زمانه جاي ياريت تخلع بقى
- حازم : اخلع كمان ؟ .... يا ستي ربنا يديم الروقان ... أوك أنا ماشي ... وتبقي قوليله أنا عازم نفسي عنده بكرة ... واحتمال أعدي عليه النهاردة

- بسمة : تعزم نفسك كدة منك لنفسك ؟ ... هو إيه الراجل فاضيلك مثلاً ؟ ... مش واجب يعمل حسابه ويبلغ الناس اللي عايش معاهم
- حازم : ناس مين ؟ عاصم أخويا يا دكتور مفيش بيننا رسميات ... بصي أنا صايم وجاي من سفر ومش فايق ولا فاهمك بصراحة ... أنا ماشي ... يلا سلام
- بسمة : صحيح جبت معاك هدية لشذى ؟ ... ولا هتكبر دماغك ؟
- حازم : شذى بنت عاصم ؟ ... مالها ؟
- بسمة : معقولة متعرفش إنها نجحت في ثانوية عامة وجابت ٩٦% ... ده الدكتور عاصم قال إنك هتفرح قوي لأنها هتدخل هندسة القاهرة زيك
- حازم "وقد ظل وجهه جامداً بدون تعبيرات" : عاصم قال لك كدة إمتى ؟
- بسمة : على طول بيقول كدة .. إيه إنت نسيت أخوك ولا إيه ؟
- حازم : لا مش ناسيه ... على فكرة أنا لازم أكلمك وأقعد معاكي قريب عشان عاوزك في موضوع مهم ... هبقى أكلمك
- بسمة : موضوع إيه ؟
- حازم : هبقى أكلمك ... معلش بقى لازم أمشي عشان واقع والله وعاوز أريح شوية قبل المغرب
- بسمة : أوك ... ربنا يقويك
- حازم : سلميلي على عاصم بقى ... متنسيش ... سلام
- بسمة : مع السلامة يا بشمهندس

خرج حازم وأغلق الباب وراءه

- بسمة : إيه يا ربي العيلة الغريبة دي ، أما أقوم أشوف قصة الفطار دي ظروفها إيه ... يا عم سليمان ... ياعم سليمان إنت فين

الخميس ٢ سبتمبر ٢٠١٠ الساعة ٩ مساءً

الحادثة

بعد نجاح إفطارنا الأول والذي لم يتخلف أحد منا عن حضوره بما في ذلك ميار بعد الواقعة المؤسفة التي شهدناها سوياً ، بعد نجاح الإفطار قررت ليلى أن تقوم بعمل لإطار مماثل على أن يكون عائلياً هذه المرة ، وقامت بتوجيه الدعوة إلى نادين ووالديها ، وشيرين ووالدتها ، وميار التي قررت أنها ستأتي وحدها ، والدكتور عاصم وزوجته وابنتيه ، والذي عرض عليها استضافة الإفطار في العيادة باعتبار أنها المكان الذي يضم عائلتنا الصغيرة وأن المكان يتسع للكثيرين ، فوافقت ليلى وقامت بإعداد كل ما يلزم الإفطار الذي كان غاية في الروعة ، وأشاد الجميع بجمال اليوم والمشاعر الطيبة التي تغلف لقاءاتنا دوماً .

وفي النهاية حرص الدكتور عاصم على أن يستغل الحدث وطلب من كل واحد أن يوجه كلمة لبقية الحضور ، تحدث والد نادين وأعرب عن شكره للدكتور عاصم وللمجموعة كلها واعتزازه بمعرفة مجموعة متميزة من الناس ذوي الاخلاقيات الرفيعة ، تحدثت ميار و وجهت الشكر لي وللدكتور عاصم على كل ما يقدمونه للفريق ، كما شكرتنا كثيراً والدة شيرين و وعدتنا بزيارات عديدة حيث أعجبها المكان كثيراً ، والعلاقات الطيبة التي يتميز بها رواده .

أما مسك الختام فكانت ليلى التي وقفت وكأنها تعد نفسها لإلقاء بيان هام ، وابتسمت ابتسامة واسعة وقالت :

- مفيش شك إني لازم أتوجه بالشكر للدكتور عاصم والدكتورة بسمة الجنود المجهولين المعلومين في المكان الجميل ده ، الناس اللي بأقل الإمكانيات والكلمات قدروا إنهم يغيروا فينا حاجات كتيرة قوي ، والأهم من كدة إنهم خلونا إحنا نحب نغير من نفسنا وإننا نبذل الوقت والجهد عشان نبقى أفضل وأجمل ، كمان لازم أشكر عيلتي الجديدة الجميلة المهندسة شيرين والمعلمة ميار والأميرة نادين ، بشكرهم إنهم إدوني حاجة كنت مفتقداها من زمان قوي ، إدوني فرصة إني أحب وأتحب وأحس بقيمة العلاقات الإنسانية الجميلة البعيدة عن المصالح والبزنس اللي كلنا غرقانين فيه .

ثم سكتت للحظات ونظرت إلى زوجها نظرة تشع حباً وحناناً بشكل فاجأنا جميعاً وقالت :

- كل الناس اللي قلت أساميهم ربنا وحده اللي يعلم هم إيه في قلبي وهم غيروني إزاي حتى من غير ما يعملوا حاجة ، لكن دلوقتي حابة إني أوجه كلمة لحد معين ، إنسان ممكن يكون مختلف عني في كل حاجة ، إلا إنه ده عمره ما كان حاجز بينه وبيني ، عمره ما خلاه يبعد عني أو ياخده مني ، بالعكس ، لكنه قعد سنين يحبني ويهتم بيا ، عمل عشاني كتير قوي في الوقت اللي ممكن كنت أنا فيه مش مستوعبة اللي بيعمله أو مش قادرة أتجاوب معاه ، لكن ده برضه مخلاهوش ييأس وكان دايماً بيحاول مرة واتنين ومية وألف ، الراجل ده يا جماعة هدية ربنا ليا ، وأنا دلوقتي حابة قوي إني أقول له قدامكم كلكم شكراً يا حسام ... شكراً على كل حاجة حلوة عملتها وبتعملها عشاني ... أنا بحبك قوي

... وربنا يقدرني ويديني العمر اللي أقدر أخليك فيه أسعد راجل في الدنيا وأعوضك عن كل حاجة ... ربنا يخليك ليا وميحرمنيش منك أبداً

قالت كلمتها والدموع تنساب من عينيها فقام إليها حسام وقبل رأسها ويديها واحتضنها بقوة بصفقنا لهما جميعاً ودموعنا تختلط بابتساماتنا .

بعد هذه الفقرة وقبيل الانصراف بدقائق طلب الدكتور عاصم من شيرين مقابلة في مكتبه على انفراد ، وطلب مني أيضاً التواجد معهما ، وفي مكتب عاصم اجتمع ثلاثتنا وكان هذا الحوار

- شيرين : خير يا دكتور ... قلقتني
- عاصم : بصي باختصار و بدون مقدمات ... كريم كان عندي هنا إمبارح
- شيرين : كريم مين ؟ ... كريم ؟ ... و عرفك منين ؟ ... وكان عاوز إيه ؟
- عاصم : اهدي بس ... أنا هفهمك
- شيرين : مش عاوزة أفهم حاجة ... اللي بيني وبين كريم انتهى وكل واحد راح لحاله
- عاصم : حتى لو قلتلك إنه لسه بيحبك
- شيرين : دكتور عاصم لو سمحت متخلينيش أندم إني وثقت في حضرتك ، وبعدين إيه اللي عرف كريم إني باجي هنا ؟ ... ممكن تعرفني ؟ ... ليه كدة يا دكتور ... ده أنا كنت بدأت أرجع أثق في الناس ... هو أنا كل ما اثق في حد يطلع بيخدعني ... ليه كدة ليه

- بسمة : ثواني يا شيرين ... نفهم بس الحكاية من الدكتور عاصم الأول
- عاصم : كريم عمره ما نسيكي يا شيرين ... بيمشي وراكي في كل حتة ... بيعرف أخبارك أول باول ... كل الأماكن اللي بتروحيها والناس اللي بتقابليهم هو عارفهم ... كريم أقسم لي إنه غلط وعرف غلطته وندم و عمره ما هيكررها تاني ... وقال لي إنه بيحاول يكلمك ويبعتلك وإنتي اللي رافضة
- شيرين : وهو مش طبيعي إني أرفضه بعد خيانته ليا ؟
- عاصم : فيه فرق بين الخيانة وإنه فكر في الخيانة يا شيرين
- شيرين : وأنا بالنسبة لي مفيش فرق ... وبعدين أكيد حضرتك راجل ولازم تبرر له
- بسمة : دكتور عاصم عمره ما يبرر غلط يا شيرين وانتي عارفاه
- عاصم : كريم كان هنا إمبارح زي ما قلتلك و دي كانت أول مرة أشوفه وأكلمه في حياتي ... والراجل عاوز يرجع بالشروط والضمانات اللي تحدديها ومعندوش مانع إنه تكون الاتفاقات هنا في المكتب وفي وجودي
- شيرين : وأنا متشكرة ليك يا دكتور ... واعذرني مش هقدر أسمع كلامك المرة دي
- بسمة : طب ليه ؟ ... ما تقعدي معاه وتشوفي يمكن اتغير فعلاً
- شيرين : حتى لو اتغير مبقاش يلزمني ... "وتغيرت لهجتها قليلاً" أنا خلاص ماشية في موضوع كدة وقريب قوي هتحضروا فرحي ... ولا ناويين متجوش ؟

- عاصم : فرحك ؟ على طول كدة ؟ مقلتيش يعني
- شيرين : لا الموضوع جه بسرعة ... ولسه فيه شوية ترتيبات
- بسمة : حد نعرفه ؟
- شيرين : لا للأسف ... هو مش مصري أصلاً ... لبناني ومعاه جنسية ألمانية ... بيشتغل في كذا هيئة خدمية وصحية تبع اليونسكو ... اتعرفت عليه في جروب كان بيقدم لنا استشارات مجانية ونصايح عشان الدايت ... كنا بنبعت له ويتواصل معانا كل واحد لوحده ... حتى بيتطمن علينا باستمرار .. بنبعت له البرنامج الغذائي بتاعنا وكل شهر بيطلب مننا شوية تمارين وتحاليل بنعملها ونبعتهاله
- عاصم : تحاليل إيه ؟
- شيرين : دم و وظائف كبد وكلى وحاجات كدة عشان يشوف إحنا ماشيين كويس ولا لأ
- عاصم : غريبة شوية
- شيرين : من فترة كلمني وقال لي إنه معجب بيا وحابب إنه يتعرف عليا أكتر ... وبدأنا نقرب من بعض ... صارحني إنه عاوز يتقدم لي ... وبعتلي بياناته وصوره في الشغل وكل حاجة عشان اطمن ... وجالي وقابل ماما واشترالي خاتم سوليتير واتفقنا على شوية ترتيبات ... هو هيتجوزني ويبعتلي تأشيرة سياحة وأروح له لحد ما يرتب إقامتي هناك
- بسمة : مش شايفة إنه الموضوع بيتم بسرعة مبالغ فيها ؟

- شيرين : وشايفة كمان إنه عاوزني جداً وحابب يرتبط بيا ... بقولك جابلي خاتم سوليتير إنتي عارفة ده بكام ؟ ... أكيد مش بيهزر يعني
- عاصم : طب ممكن تخلينا نسأل عنه شوية ؟ ... نطمن بس
- شيرين : أوك مفيش أي مشكلة ... هبعتلك كل حاجة النهاردة لما أروح
- عاصم : إذا كان ده قرارك النهائي إحنا أول ناس هنباركلك يا شيرين ... لازم تكوني واثقة من كدة كويس
- - بسمة : أكيد والله
- شيرين : ربنا يديم المعروف يا دكتور .... أستأذن أنا بقى عشان زمان ماما قلقانة
- عاصم : اتفضلي طبعاً ... أنا جاي معاكي أسلم على ماما وباقي الناس ... أكيد عاوزين يمشوا هم كمان

وبعدما انصرف الجميع ، كان القلق لا يزال مسيطراً علي بخصوص موضوع شيرين فسألت الدكتور عاصم

- بسمة : هتعمل حاجة في موضوع شيرين ؟
- عاصم : أكيد ... بس مش عارف إزاي ... الموضوع ملخبط والوقت ضيق
- بسمة : وبعدين ؟ ... أنا مش مرتاحة للقصة دي خالص
- عاصم : والله ولا أنا
- بسمة : إنت إيه أكتر حاجة قالقاك ؟
- عاصم : الاحتمالات كتيرة يا بسمة وكلها أصعب من بعض
- بسمة : يا نهار أسود

- عاصم : طبعاً ... سهل جداً يجيب خاتم بكام ألف وتذكرة طيران ويسفرها ... وهناك ممكن تتباع لأي حد ... ولا مسمعتيش عن الرقيق الأبيض ؟
- بسمة : يا لهوي ... تتباع ؟ ... إحنا لازم نمنعها فوراً
- عاصم : لسه الموضوع مخرجش عن الشك يا بسمة
- بسمة : طب نعمل إيه ؟ ندور في النت ؟ ... نسأل مين
- عاصم : الموضوع مش بالسهولة دي ... دي بتبقى عصابات دولية منظمة أكيد مش بيسيبوا وراهم خيوط
- بسمة : طب هنعمل إيه ؟
- عاصم : هو للأسف مفيش قدامي إلا حل واحد مكنتش أتمنى إني ألجأ له بصراحة
- بسمة : حل إيه ؟

ذهب إلي مكتب وفتح العلبة الخاصة بالكروت الشخصية وأخرج منها أحد الكروت وقال

- عاصم : اللواء فؤاد ... والد نادين ... أكتر حد ممكن ينفعنا في قصة زي دي
- بسمة : صح جداً ... أيوه هو مفيش غيره ... كلمه بسرعة ... دلوقتي حالاً

أخذ هاتفه وطلب اللواء فؤاد

- عاصم : سيادة اللواء ... دكتور عاصم النجار معاك ... ربنا يخليك يا فندم انت اللي نورتنا والله ... سيادة اللواء كنت عاوزك في موضوع يهم حد عزيز عليا ... لا هو للأسف مش هينفع في التليفون ... تمام ... الوقت اللي يناسبك .... آه عارفه .... الساعة أربعة ؟ .... الساعة أربعة بالدقيقة هكون عندك بإذن الله ... شكراً جزيلاً يا فندم ... في رعاية الله
- بسمة : ها ... قال لك إيه ؟
- عاصم : بكرة الساعة ٤ هقابله ... وأهو تكون شيرين بعتت لي الحاجة زي ما بتقول
- بسمة : طب تمام الحمد لله .... قلبي مقبوض قوي ... ربنا يجيب العواقب سليمة
- عاصم : مش يلا بقى عشان أوصلك في سكتي ؟
- بسمة : نازل دلوقتي ؟
- عاصم : للأسف مضطر أنزل ... سلوى عاوزاني أنزل أشتري معاها شوية حاجات قبل زنقة العيد
- بسمة : لا انزل انت ... أنا هقعد خمسة كدة أهدى شوية ... مش هينفع أروح وأنا متلخبطة كدة
- عاصم : أوك زي ما تحبي ... أخللي سليمان يعمل لك حاجة ؟
- بسمة : لا مفيش داعي أنا مش هطول
- عاصم : أوك ... ربنا معاكي ... أنا هزوغ بقى عشان موبايلي فاصل شحن وزمانها قالبة الدنيا عليا

- بسمة : ماشي يا دكتور ... على فكرة ... بلغها سلامي وقل لها إننا كان نفسنا نشوفها النهاردة
- عاصم : حاضر يا ستي ... يلا سلامو عليكو

خرج عاصم في هدوء ، جلست على الانتريه وألقيت برأسي إلى الوراء أفكر في أحداث اليوم بحلوه و مره ، أخرجت هاتفي المحمول واكتشفت أنه كان على الوضع صامتاً منذ ساعة الإفطار وحتى الآن ، وها هي العديد من المكالمات التي لم أنتبه لها ، من هدى و أمي و عدد من الأرقام الغريبة ، أخذني من شرودي وقع أقدام تدخل العيادة ، وصوت مألوف يسلم على عم سليمان ، لأتأكد في لحظات أنه صوت حازم الذي طرق باب المكتب المفتوح قبل أن يدخل

- حازم : السلام عليكم يا أهل الكهف
- بسمة : عليكم السلام يا بشمهندس ... إيه أهل الكهف دي ؟
- حازم : الباشا تليفونه مقفول ... وحضرتك مش بتردي على الأرقام الغريبة باين ولا إيه
- بسمة : لا والله أنا لسه مكتشفة إن الموبايل كان سيلنت دلوقتي حالاً ...و فعلاً دكتور عاصم موبايله فاصل شحن ... ده كان هنا ولسه خارج حالاً
- حازم : أنا كنت معدي تحت لقيت المكتب منور فقلت أتصل قبل ما أطلع
- بسمة : لو محتاج له ضروري ممكن تكلمه على موبايل مدام سلوى
- حازم "باندهاش" : وهو موبايل سلوى بيعمل معاه إيه ؟

- بسمة : لا مش الموبايل اللي معاه ... مدام سلوى هي اللي معاه وأكيد الموبايل بتاعها ....
- حازم "مقاطعاً" : ثواني يا بسمة ... واحدة واحدة ... هو عاصم قال لك إنه رايح فين ؟
- بسمة : هو قال إنه هيقابل مدام سلوى وينزلوا يشتروا حاجات قبل زحمة العيد
- حازم : إنتي تعرفي عاصم كويس ؟
- بسمة : مش فاهمة تقصد إيه من السؤال
- حازم : يعني تعرفي عاصم وأسرته ... تعرفي حاجة عن حياته العائلية
- بسمة : بصراحة كل معلوماتي مش اكتر من اللي بيقوله دكتور عاصم عنهم لأني للأسف مقابلتش مدام سلوى أو حد من البنات خلال الكام شهر اللي اشتغلت فيهم مع دكتور عاصم ... بس اللي متأكدة منه إن دكتور عاصم بيحب عيلته قوي ومخصص لهم اغلب يومه ودايماً معاهم في الحاجت اللي بيحبوها في النادي والسينما حتى الخروجات وباقي الـ ....
- حازم : متأسف إني بقطع كلامك ... بس ممكن أفتح الكمبيوتر دقيقتين بالظبط ؟
- بسمة : انت عارف دكتور عاصم مش بيحب حد يقلب في حاجاته
- حازم : ولا هقلب في أي حاجة ... أنا محتاج أدخل على النت دقيقتين مش أكتر
- بسمة : أوك ... اتفضل

لم أكن في حاجة إلى المزيد من الحيرة والصدمات ولكن فلنقل أنه فضول المرأة ومحاولة معرفة ما يدور في ذهن حازم وفك طلاسم الدهشة والحيرة الواضحة على ملامحه منذ أن بدأنا الحوار ، وفي لحظات كان حازم أمام الكمبيوتر ، فتح متصفح جوجل وأخذ يكتب بعض الكلمات في خانة البحث ثم يستعرض النتائج ، إلى أن وصل للنتيجة التي أرادها ، فتح الصفح وانتظر حتى تم تحميلها بالكامل ثم نظر إلى وقال

- مش عارف اللي أنا بعمله ده صح ولا غلط ... بس مش هخبي عليكي أنا بدأت أقلق ... وخايف عليكي ... تعالي اقعدي مكاني واقرأي كدة

لم أجد كلاماً أرد به على حازم ولكنني امتثلت لطلبه وجلست مكانه على المكتب وبدأت في القراءة بصوت عالي ... وكأنني أقرأ بلساني كي يسمع قلبي

- مقتل ٤ أشخاص في اشتعال سيارة ملاكي بصحراوي الاسكندرية ... لقي أربعة أشخاص مصرعهم في اشتعال سيارة ملاكي بطريق القاهرة - الإسكندرية الصحراوي إثر اصطدامها بسيارة نقل ... وبالمعاينة تبين تفحم جثث جميع ركاب السيارة الملاكي الأربعة وقد تم نقل الجثث إلى مشرحة مستشفى العامرية العام ...

نظرت إلى حازم الذي أومأ برأسه وأشار إلى شاشة الكمبيوتر قائلاً : كملي قراءة ... فأكملت ...

- .... وقد أسفر الحادث عن إصابة سائق السيارة النقل بكدمات وجروح طفيفة بينما لقي ركاب السيارة الملاكي جميعاً حتفهم وهم : سلوى رمضان الشايب ٤٠ سنة – ضحى عبد الحميد النجار ٣٢ سنة – ندى عاصم عبد الحميد ٢٠ سنة – شذى عاصم عبد الحميد ١٧ سنة .

نظرت مرة أخرى إلى حازم وأنا أصرخ من الصدمة

- حازم : أنا عارف إنه صعب عليكي تصدقي حاجة زي كدة
- بسمة : يعني إيه ؟ ... إزاي ؟ ... الكلام ده حصل إمتى ؟
- حازم : من حوالي ١٠ سنين
- بسمة : عشر سنين ؟ ... عشر سنين ؟ ... يعني إيه برضه ؟ ... وكل ده إيه ؟ ... لالالالا ... فيه حاجة غلط ... أكيد فيه حاجة غلط

وهنا نظرت إلى الصورة العائلية الموضوعة على مكتب عاصم وبالرغم من أنني رأيتها عشرات المرات إلا أنني لم أنتبه مطلقاً إلى الحقيقة ، كانت الصورة على ما يبدو أنه تم التقاطها منذ ما يزيد على عشر سنوات نظراً لتغير ملامح عاصم في الصورة عما هو عليه الآن ، ولكن الصورة أيضاً تشير إلى أعمار سلوى وندى وشذى التي أخبرني بها عاصم ، وكأنه تم تجميد أعمار جميع من بالصورة إلا عاصم نفسه .

- بسمة : الصورة دي كانت قبل الحادثة بكتير ؟
- حازم : في نفس الصيف اللي حصلت فيه الحادثة .
- بسمة : انت عاوز تقول إيه ؟ ... عاوز تقول إن الدكتور عاصم مجنون ؟

- حازم : وإنتي متخيلة إن حاجة زي دي هتفرحني ؟
- بسمة : أنا مش فاهمة حاجة ... أمال هو بيروح فين ولا بيعمل إيه ... ده طول النهار بيكلم مراته في التليفون وبيحكيلها كل حاجة بالتفصيل ... ورايح جاي مع البنات ... حتى مشكلة أخته ... رايح جاي معاها ... إيه ده ؟ هي أختكم كمان كانت في الحادثة ؟
- حازم "دامعاً" : أنا هحكيلك كل حاجة
- بسمة : لا لا كفاية ... كفاية أرجوك ... أنا مش قادرة ... حرام والله حرام

لا أتذكر هل كان ضغطي المنخفض هو السبب أم أنه تأثير الصيام في الصيف وانخفاض نسبة السكر في الدم ، أم أنه القلق على شيرين ، أم صدمة عاصم ، ربما كانت كل هذه الأسباب مجتمعة ، ولكنني أتذكر جيداً أنني أغشي علي للمرة الثانية في مكتب الدكتور عاصم .

الأحد ٥ سبتمبر ٢٠١٠ الساعة ١١ صباحاً

تجارة أعضاء

كانت صدمة الخميس الماضي كفيلة باعتذاري عن العمل مع عاصم بشكل نهائي ، فعندما أفقت من الإغماءة التي تعرضت لها حكى لي حازم حكاية عاصم وحقيقته ، وكيف كان عاصم مثال للزوج الأناني والأب القاسي ، والخلافات التي كانت تدور بينه وبين زوجته على أتفه الأسباب ، والتي دفعت زوجته إلى طلب الطلاق أكثر من مرة ، الأمر الذي دفعها للهروب من جحيم الحياة معه ، فجمعت متعلقاتها وأخذت البنتين وسافرن جميعاً مع ضحى في سيارتها حيث كانت قد نصحتها بالبقاء في منزل العائلة بالعجمي لحين انتهاء فترة التوتر مع عاصم وعودة المياه إلى مجاريها ، وفي طريقهم إلى الإسكندرية اتصل بهم عاصم وتوعدهم جميعاً الأمر الذي تسبب في غضب ضحى أثناء حديثها مع عاصم فاختلت عجلة القيادة في يديها واصطدمت بسيارة نقل تصادف وجودها على نفس الطريق ، وحدث ما حدث .

أصيب عاصم بجلطة في المخ فور رؤيته لجثث أخته وزوجته وابنتيه المتفحمة ، وظل أياماً وشهوراً حتى استرد عافيته بشكل كبير ، إلا أن الأمر لم تقتصر آثاره على الجانب الجسدي بل كان له تبعات على المستوى النفسي حيث حمل عاصم نفسه مسئولية ما حدث مما أصابه بحالة من انفصام الشخصية جعلته يتوهم أنهم لا زالوا على قيد الحياة ، يعيش معهم ويعيشون معه ، يكلمونه ويكلمهم ، حتى ساءت حالته خاصة مع إصراره على عدم

تناول الأدوية المقررة له ، سافر لسنوات - بعد إلحاح حازم والعائلة – إلى لندن حيث خضع لعدة برامج تأهيل نفسي على أعلى مستوى ، وعاد بعد عدة سنوات بشخصية جديدة تماماً ، أعاد افتتاح حياته و عاد لعمله وللنادي والأصدقاء ، مما جعل الجميع يؤمن تماماً أن عاصم قد عاد مجدداً لممارسة حياته بشكل طبيعي تماماً .

وعلى مدار اليومين الماضيين كلمت عاصم أكثر من مرة ولم أبدي له أي تغيير في كلامي حتى لا يشعر أنني اعلم عنه شيئاً وذلك بناءً على ما اتفقت عليه مع شقيقه حازم ، أخبرني عاصم أن شيرين قد أرسلت له البيانات والصور كما اتفقنا ، وأنه قد قابل فؤاد عصر الجمعة وحكى له الأمر وأعطاه كل المعلومات المتاحة ، وأخذ وعداً من فؤاد بالحضور إلى النادي لإطلاع عاصم على نتيجة البحث والتحري التي قام بها ، اتصل بي عاصم وطلب مني حضور هذه المقابلة معهما بالنادي ، فانتهزت الفرصة وأتيت إلى النادي مبكراً ، دخلت و ذهبت إلى مكان عاصم المعتاد وجلست ، وما إن رآني أيوب حتى أتى إلى مسرعاً .

- أيوب : مساء الخير يا فندم ... حضرتك الدكتورة بسمة ... يارب أكون مش غلطان في الاسم
- بسمة : مساء الخير يا أيوب ... لا مظبوط الله ينور عليك
- أيوب : معلش بقى مفيش غيري في المكان ... رمضان كريم وحضرتك عارفة ... كل الناس بتفطر وبعدين ييجوا على أيوب على طول ... فيه حاجة ممكن أقوم بيها لحضرتك ؟

- بسمة : لا متشكرة يا أيوب ربنا يخليك ... صحيح هو الدكتور عاصم لسه مجاش مش كدة ؟
- أيوب : أكيد طبعاً ... طالما هو مش هنا على الترابيزة بتاعته يبقى مستحيل يكون موجود
- بسمة : للدرجة دي ؟
- أيوب : الدكتور عاصم من الأعضاء اللي حفظناهم من زمان ... بيدخل يركن عربيته ... ييجي يطلب قهوته ... يقرأ جرناله أو أي كتاب من كتبه اللي بتبقى بالإنجليزي بتاعت الدكاترة دي ... وممكن يطلب عصير أو أي حاجة خفيفة وساعتين بالكتير بيكون ماشي
- بسمة : ملوش أنشطة تانية ... مش بيقابل حد
- أيوب : لا طبعاً الدكتور متعود ييجي الصبح بدري قوي عشان يمشي ساعة حوالين ملعب الكورة ، وقليل قوي لما حد من حبايبه بييجى يقعد هنا معاه ... كنت بسمع زمان إنه كان بيلعب تنس بس مشفتش بصراحة الكدب خيبة
- بسمة : مفيش حد من العيلة بييجي معاه ؟ ... حد من إخواته ؟ ... بناته
- أيوب : كل فين وفين بشوف أخوه المهندس أصله دايماً مسافر ... لكن غير كدة مفيش
- بسمة : قل لي يا أيوب انت بقالك هنا كتير في النادي ؟
- أيوب : سنتين بالظبط ... من ساعة ما خلصت الجيش وأنا هنا
- بسمة : ربنا يقويك يا أيوب ... ميرسي قوي مش عاوزة أعطلك

- أيوب : تحت أمر حضرتك يا فندم ... أهو الدكتور عاصم جاي هناك أهو ... أستأذن أنا بقى

بخطوات واثقة وابتسامة جذابة كعادته أقبل عاصم نحو مائدته المفضلة ، سلم على أيوب و سحب كرسياً وجلس

- عاصم : شكلك هنا من بدري وأيوب أكل دماغك ، مش بيبطل رغي أنا عارفه
- بسمة : لا والله أنا لسه واصلة قبلك على طول
- عاصم : وأنا داخل كلمت فؤاد وقال لي إنه داخل ورايا حالاً
- بسمة : الحمد لله ، يارب يكون عرف حاجة ونطلع كلنا غلطانين
- عاصم : يا رب يا بوسي

قطع كلامه صوت هاتفه فرد عليه

- أيوه يا فندم ... آه إحنا في انتظارك في الكافتيريا ... هتلاقينا على إيد اليمين وإنت ماشي ... خليك ماشي بس شوية ... تمام كدة أنا شفتك ... بص يمينك ... تمام ... اتفضل ... سلام

وصل فؤاد وفي يده ملف يضم عدد من الأوراق ، ألقى التحية وسحب كرسياً وجلس

- عاصم : معلش يا فندم تعبناك معانا
- بسمة : طمنا ... قدرت توصل لحاجة ؟

- فؤاد : واحدة واحدة عليا يا جماعة ... بصراحة الكلام اللي هتسمعوه مش مطمئن خالص
- بسمة : لا إله إلا الله
- عاصم : وصلتم للحقيقة بالسرعة دي
- فؤاد : شوف يا دكتور عاصم ... بالتأكيد أنا مش هقدر أوضحلك أو أعرفك المصادر اللي جبت منها الكلام ده ... كل اللي أقدر أقولهولك إن الملف ده فيه شغل ٣٦ ساعة متواصلة من البحث واشتغل عليه مجموعة من أفضل رجالتنا جوه وبرة مصر .
- بسمة : إحنا كدة بنقلق أكتر
- فؤاد : باختصار شديد جداً كل الكلام اللي عندكم ملوش أي أساس من الصحة ... الجدع ده مش اسمه إلياس صفوان والسنتر اللي قال إنه بيشتغل فيه ملوش وجود ... الصور اللي معاكم أغلبها متفبرك وخاصة اللي بيقول عليها إنها في أماكن شغله ... الحاجة الوحيدة الحقيقية في الموضوع إنه فعلاً معاه الجنسية اللبنانية ومقيم بالفعل في هامبرج بألمانيا .
- عاصم : أمال هو مين ؟ وعاوز إيه من شيرين ؟
- فؤاد : اللي قدامنا في الصور ده يا جماعة اسمه طوني إفرايم ... يهودي لبناني
- بسمة : يهودي ؟... يهودي ؟
- عاصم : اهدي بس يا بسمة ... كمل يا سيادة اللواء

- فؤاد : طوني إفرايم ... يهودي لبناني عنده ٣٨ سنة ... فني أجهزة طبية ... كان بيشتغل بالفعل في لبنان تبع الأمم المتحدة من حوالي عشر سنين ... ونتيجة مشاكل عملها في الشغل زي الاختلاس وسرقة بعض الأدوية فصلوه من الشغل ... سافر أوروبا وعاش في أكتر من بلد ... إيطاليا هولندا بلجيكا فرنسا وكان آخرها ألمانيا ... سبق اتهامه أكتر من مرة في قضايا اعتداء وخطف وإتجار بالأعضاء ... إلا إنه كل مرة كان بيطلع براءة بحجة عدم كفاية الأدلة .
- عاصم : اسمحلي يا فندم كل اللي حضرتك قلته لا يتعدى كونه سرق علبة دوا أو أكتر ... وباقي الاتهامات مفيش حاجة ثبتت عليه
- بسمة : مظبوط ... أنا متفقة مع الدكتور عاصم
- فؤاد : لحد دلوقتي أنا متفق معاكم لكن لما نعرف إنه خلال السنتين اللي فاتوا قدر يبعت دعوات وتأشيرات زيارة لسبع بنات من مصر وسوريا والأردن وإن البنات السبعة دخلوا ألمانيا ومخرجوش منها يبقى إحنا دلوقتي قدام مجرم دولي وإنه بالفعل وراه لغز كبير وعلامات استفهام لا حصر لها
- بسمة : وكل ده قدرتم تعرفوه في يومين ؟
- فؤاد : شغلنا يا دكتور ... ولو فيه وقت أكتر ممكن نكتشف مفاجآت أكتر
- عاصم : لا اللي حضرتك قلته كفاية جداً ... وبجد كتر ألف خيرك
- فؤاد : مفيش داعي للشكر يا دكتور ... شيرين أخت نادين وأي حاجة تضرها أكيد هتزعلنا كلنا

- عاصم : أنا مش متفاجئ إني بسمع منك الكلام ده وبجد بكرر شكري ليك مرة تانية
- فؤاد : الشكر ليك إنت يا دكتور ... أنا واثق تماماً إنه مفيش دكتور بيعمل اللي انت بتعمله مع المرضى بتوعك ... وإن الموضوع بالنسبة لك إنساني اكتر منه بزنس
- عاصم : متقولش كدة يا دكتور ... إحنا كلنا عيلة واحدة

لا أعلم السبب في أن أسمع كلمة "عيلة" بشكل مختلف هذه المرة بالرغم من أن عاصم يرددها مراراً وتكراراً ... فمنذ أن قالها تقريباً لم أسمع باقي الحوار الذي دار بينهما حتى انصرف فؤاد وأوصلني عاصم بسيارته إلى العيادة حيث اتصل في الطريق بشيرين وطلب منها الحضور ، وخلال ربع ساعة كنا نجلس نحن الثلاثة في مكتب عاصم ، أخرج عاصم لشيرين كل الأوراق التي حصل عليها من فؤاد وحكى لها الأمر حرفياً ، انهارت شيرين تماماً ولم تصدقنا .

- بسمة : خلاص بقى يا شيرين ... احمدي ربنا إنه الموضوع خلص على كدة
- شيرين : بالسهولة دي ؟ ... إنتي بتقولي إيه بس
- عاصم : يا شيرين إحنا بنقول الحمد لله إننا قدرنا نعرف الحقيقة قبل لا قدر الله ما تحصل حاجة كدة ولا كدة
- بسمة : الحمد لله
- شيرين : طب دلوقتي لو كلمني أو بعتلي هتصرف إزاي ؟

- عاصم : يعني إيه تتصرفي إزاي ؟ ... متردیش طبعاً أو اتحججي بأي حاجة
- بسمة : أنا شايفة إنها متردش أحسن ... وممكن تغيري رقمك كمان
- شيرين : وهو هيسكت يعني ؟ ... ده جالي وقابلني ودخل البيت يا جماعة ... ده ممكن يعمل فيا أي حاجة
- عاصم : اطمني ... اللواء فؤاد والد نادين بيتابع الموضوع ومراقب اتصالاتك ومحدش فينا هيسيبك
- شيرين : اللواء فؤاد ؟
- بسمة : أيوه ... ماهو اللي عرفنا الحقيقة
- شيرين : آه فهمت
- عاصم : فيه حاجة أخيرة عاوز أقولك عليها
- شيرين : حاجة إيه ؟
- عاصم : كريم يا شيرين ... كريم هنا في العيادة ... ومصمم يشوفك ... هو كلمني وقلتله يتفضل وقاعد هنا من ساعتين ... قبل حتى ما نوصل إحنا
- شيرين : هي الحكاية كدة بقى ؟
- بسمة : حكاية إيه ؟
- شيرين : تجارة أعضاء واللواء فؤاد والحمد لله ربنا ستر ... وبعدين يظهر كريم بقى على الحصان الأبيض ... سوري يا دكتور ده شغل بلدي قوي

- بسمة : شيرين ... إنتي بتقولي ايه ؟ ... معلش يا دكتور هي بس متوترة شوية
- عاصم : أنا مقدر اللي هي فيه
- شيرين : وأنا مش عاوزاك تقدر ... ومش عاوزة أعرفكم أصلاً ... أنا إيه اللي جابني هنا ... يا ريتني ماعرفتكم ... أنا خلاص مبقاش عندي ثقة في أي حد ولا حتى فيكم ... حرام عليكم حرام عليكم

انهارت شيرين باكية ، وأشار لي الدكتور عاصم بما معناه أن نتركها في المكتب وننصرف ، خرجنا من المكتب ثم دخل إلى إحدى القاعات وخرج معه شخص عرفت بعدها أنه كريم ، تحدث معه قليل ثم سمح له بدخول مكتبه ليتحدث إلى شيرين مستغلاً لحظة انهيارها ، دخل كريم وسمعنا صوت شيرين مرتفعاً للحظات ثم هدأت الأجواء نسبياً وظل الهدوء سيد الموقف قرابة الساعة ، والحق يقال فبالرغم من قلقي الشديد على شيرين وفضولي الكبير لمعرفة نتيجة هذا اللقاء المؤجل منذ سنوات إلا أن كل دقيقة تمر كانت تبشر بأن شيئاً طيباً ربما يحدث ، وفي الوقت ذاته تؤكد أن القلوب بيد الرحمن يقلبها كيف يشاء ، لحظات قليلة وفتح باب المكتب وخرج منه شيرين وكريم وقد بدت عليهما أمارات الفرحة والراحة ، هنا كسر عاصم حاجز الصمت بأسلوبه المرح

- عاصم : والله كنت هجيب لمون ، بس قلت رمضان كريم بقى ونخليها عرقسوس
- كريم : لا يا دكتور ده واجب علينا إحنا والله ...

- عاصم : بس أنا مش شايف يعني إصابات ولا كدمات ... ولا أي حاجة ... إيه يا بشمهندسة ؟
- شيرين : وبعدين يا دكتور عاصم ؟ ... ما قلنا رمضان كريم بقى
- عاصم : كريم آه ... كريم خالص ... ماشي ياعم كريم
- شيرين : قلتلك يا كريم الدكتور هيشتغلنا والله سنتين تلاتة قدام
- كريم : لا والله ده جميله ده على راسي
- بسمة : يعني خلاص ... صافي يا لبن ؟
- شيرين : قريب إن شاء الله هعزمك على مناسبة حلوة
- عاصم : الله أكبر ... طب يلا بسرعة العيد كمان يومين ... واهو يبقى العيد عيدين
- شيرين : لا طبعاً أنا لسه عندي شروط
- كريم : وأنا موافق من قبل ما أعرفها
- عاصم : يابني اتقل شوية
- كريم : اتقل تاني ؟ ... أنا على آخري والله
- شيرين : إيه ... إيه يا بابا ... حاسب على كلامك
- كريم "ضاحكاً" : أوك ماشي ... عندك حق ... طيب إحنا هنستأذن بقى يا دكتور ... أصلي عزمت نفسي عند حماتي
- بسمة : ده فيه حد مش بيضيع وقت بقى
- كريم : كفاية اللي ضاع يا دكتور
- عاصم : الحمد لله رب العالمين ... متبصش على اللي ضاع ... وبص دايماً على الخير اللي في إيدك ... حافظ عليه كويس وشيله في عنيك

- كريم : في عنيا يا دكتور ... متشكر على كل حاجة ... ربنا يكرمك ويبارك لك في أهل بيتك
- عاصم : شكراً يا كريم ... أنا مستني الدعوة بقى
- كريم : أقرب مما تتخيل
- شيرين : إحنا قلنا إيه ؟
- كريم : طيب طيب بالراحة بس ... يلا سلام يا دكتور ... عيد سعيد إن شاء الله وكل سنة وإنتم طيبين

انصرف كريم وشيرين وكأنهما قد وقع كل منهما في حب الآخر اليوم ، ودعناهما بنظرات الحب وأمنيات النجاح في حياتهما القادمة .

- عاصم : صحيح يا دكتور ... بالمناسبة بقى
- بسمة : خير
- عاصم : طبعاً العيد داخل وأكيد بنكون إجازة
- بسمة : ده العادي يعني
- عاصم : طيب أنا من النهاردة إجازة لمدة أسبوع بالظبط ... عاوز آخد سلوى والبنات ونطلع يومين كدة نغير جو في أي حتة قبل الدراسة ما تبدأ ... الصيف السنة راح في الثانوية والتنسيق وملحقناش نعمل حاجة ... وبإذن الله السبت الجاي أكون رجعت ... والأحد أكون هنا في العيادة بأمر الله
- بسمة : طيب تمام

- عاصم : المكان بتاعك ... كلمي سليمان في أي وقت ورتبي معاه ... عاوزة تيجي الصبح أو بالليل ... عاوزة تيجي في العيد ... براحتك ... البيت بيتك
- بسمة : ميرسي يا دكتور دي ثقة أعتز بيها
- عاصم : تحبي آجي أوصلك ولا قاعدة شوية
- بسمة : لا قاعدة شوية ... لسه بدري
- عاصم : أوك اشوفك على خير ... يلا كل سنة وانتي طيبة
- بسمة : دكتور عاصم
- عاصم : خير
- بسمة : ممكن تديني رقم مدام سلوى ؟
- عاصم : رقم سلوى ؟ غريبة ... ليه عاوزة تشتكيلها مني ولا إيه ؟
- بسمة : لا خالص ... يعني من ساعة ما اشتغلت هنا وأنا عاوزة أشوفها ... أقابلها ... أو حتى أبعتلها رسالة مثلا بمناسبة العيد ... عادي يعني مفيهاش حاجة
- عاصم : آه طبعاً ... بس أصل سلوى مكبرة دماغها شوية من موضوع الموبايلات ده وعلى طول قافلاه
- بسمة : مش مشكلة يا دكتور هات الرقم وأنا هبعتلها مسج ... وأول ما تفتح الموبايل هتقراها
- عاصم : أوك ... اللي يريحك
- بسمة : تمام ... هات الرقم ... ولا أقولك ... ما تتصل بيها وتديهالي أكلمها

- عاصم "ممسكاً هاتفه" : برضه فكرة كويسة ... و آدي يا ستي رقم سلوى هانم ... أهو ... زي ما قلتلك ... مقفول ... أو مفيش شبكة ... هي أصلاً مش بتاعت موبايلات مراتي وأنا عارفها
- بسمة : ممكن فعلاً يكون الموبايل مقفول ... وممكن جداً تكون الشبكة عندها واقعة
- عاصم : على طول كدة
- بسمة : أو ممكن يكون فيه سبب تالت
- عاصم : تالت إزاي يعني ؟
- بسمة : ممكن تكون مدام سلوى مش موجودة مثلاُ ... ممكن تكون ماتت
- عاصم : ماتت ؟ سلوى مين اللي ماتت ؟ إيه الهبل ده ؟ إزاي تقولي كدة يا بسمة ؟ إنتي مجنونة ؟

كان صوت عاصم عالياً وفي لحظات احمر وجهه وارتعدت فرائصه وأخذ يدور حول نفسه جيئة وذهاباً ويتمتم بكلمات غير مفهومة .

- بسمة : مدام سلوى فين يا دكتور ؟ وفين ندى وشذى ؟ مفيش حد فيهم معاه موبايلات خالص
- عاصم : اسكتي
- بسمة : طب أكيد فيه تليفون في البيت
- عاصم : قلتلك اسكتي إنتي مش فاهمة حاجة

دخل عم سليمان مهرولاً عندما علا صوت عاصم ، و حزن كثيراً لما رآه من منظر عاصم وانفعالاته

- سليمان : مالك يا دكتور عاصم ؟ خير يا بنتي هو جراله إيه
- عاصم : المجنونة دي خليها تمشي حالاً
- بسمة : أنا مش مجنونة يا دكتور
- عاصم : لا مجنونة وبنت ستين كلب ... تصور ياعم سليمان ... بتقول سلوى ماتت
- سليمان "وقد اغرورقت عيناه بالدموع" : خلاص يابنى متعملش في نفسك كدة
- بسمة : أنا مش مجنونة يا عم سليمان ... هو اللي مش طبيعي
- عاصم : شايف ... سامع ... أنا قلت تطلع برة دلوقتي حالاً
- بسمة : أنا فعلاً طالعة برة وهمشي ومش هتشوفني تاني
- سليمان : استنى بس يا بنتي هو هيبقى كويس
- عاصم : إنت كمان هتعوم على عومها يا راجل يا خرفان انت ؟ ... طب أقولكم على حاجة خليكم قاعدين ... أنا اللي ماشي ... مجانين ... كلكم مجانين ... كلكم مجانين

انصرف عاصم وحاول عم سليمان اللحاق به ولكن هيهات لمن أصابه الكبر والوهن أن تسعفه قواه في مثل هذه الحالة ، فعاد إلى ثانية والدموع تبلل وجهه

- سليمان : ليه كدة يا بنتي ؟ إنتي عملتي كدة ليه ؟

- بسمة : يعني إنت كنت عارف كل حاجة ومشاركه في جنانه ؟
- سليمان : غصب عني يا بنتي ... أنا راجل عجوز وأيامي في الدنيا مش كتيرة ... هو طلب مني مجيبش سيرة لأي حد ... خصوصاً إنتي
- بسمة : بقى كدة ؟ ... إنت مش عارف واحد بالشكل ده ممكن يعمل إيه فينا وفي نفسه ؟
- سليمان : يا بنتي حرام عليكي أنا مش ناقص والله ... كفاية اللي شفناه معاه ... كانت أيام سوداء إلهي ما يرجعها ولا يكتبها على حد أبداً ... أنا ما صدقت إنه رجع تاني يتكلم ويضحك ويشتغل زي الأول ... عاوزاني أقول له إيه بس ؟
- بسمة : ولا حاجة ياعم سليمان ... ولا حاجة ... أنا ماشية
- سليمان : متسيبيهوش يا بنتي ... عاصم كويس ... بس محتاج رعاية ... مينفعش نتخلى عنه في الظروف دي ... كان مستخبيلك فين كل ده يابني ؟ ... اللهم لا اعتراض ... اللهم لا اعتراض
- بسمة : بعدين يا عم سليمان ... أنا مش آخد أي قرار دلوقتي ... أنا ماشية ... هبقى أكلمك .

خرجت من العيادة ، أخرجت هاتفي واتصلت بحازم

- بسمة : الو
- حازم : أيوه يا بسمة إزيك
- بسمة : آسفة على الإزعاج يا حازم
- حازم : لا عادي تحت أمرك ... كل سنة وانتي طيبة الأول
- بسمة : وانت طيب ... محتاجة أشوفك ضروري

- حازم : خير ... فيه حاجة ؟

قصصت على حازم ما حدث واكتشفت أنه غادر القاهرة إلى الإسكندرية وسيعود سريعاً أول أيام العيد ، طلبت منه أن يحاول الاتصال بشقيقه للاطمئنان عليه ، وأنهيت المكالمة وسرت في طريقي إلى المنزل وأنا أكلم نفسي ، لا أعلم هل كان ما فعلته صواباً أم خطأ ، لم يعد يهم ، فما حدث قد حدث و دعوت الله كثيراً أن ينتهي ذلك اليوم على خير .

الخميس ٩ سبتمبر ٢٠١٠ الساعة ٧ مساءً

اختفاء

مرت الأيام سريعاً وقارب الأسبوع على الانتهاء دون أن نعلم مصير عاصم ، وكلما مر يوم كلما ازداد معه قلقي وحيرتي ، حاولت أنا وحازم وعم سليمان البحث عنه وسؤال كل من يعرفونه ، ولم نعثر على أي إجابة لأي سؤال ، جاء عيد الفطر و ذهب وأنا مثقلة بالأوجاع والهموم ، حبيسة داخل غرفتي ، أحاول ربط الأحداث بالأشخاص كي أستنبط مزيداً من الحقائق حول الدكتور عاصم لعلي أعلم أين ذهب أو ما الذي يمكن أن يفعله ، تبادلت مع حازم عدد من الاتصالات الهاتفية ، وحكى لي الكثير عن عاصم كإنسان وطبيب و أخ ، راودني إحساس برغبة حازم في الحديث معي لشئ أكبر من اختفاء عاصم ولكنني لم أكن لأهتم بهذه المشاعر الغريبة في ذلك الوقت ، اتفق معي حازم على أن يأتي إلى العيادة اليوم فور عودته من الإسكندرية ، وها أنا واقفة أمام السبورة في غرفة الاجتماعات وقد كتبت عليها كل المعلومات التي أعرفها عن عاصم وأسرته وعلاقاته سواء على مستوى العيادة أو النادي أو العائلة ، دخلت العيادة في تمام السادسة وبعد ساعة من وجودي داخل غرفة الاجتماعات دخل عم سليمان يحمل صينية الشاي ومظروفاً أبيض اللون .

- سليمان : الشاي يا دكتورة
- بسمة : تسلم إيدك يا عم سليمان
- سليمان : تسلمي يا بنتي ... لسه مفيش أخبار عن الدكتور ؟

- بسمة : لسه والله ياعم سليمان ... فص ملح و داب
- سليمان : ابن البواب إداني الظرف ده أول امبارح وقال لي إنه فيه واحدة ست قالت له يسلمه للدكتور بسمة
- بسمة : ظرف ؟ ظرف إيه ؟ ... وريني كدة
- سليمان : اتفضلي يا بنتي

أخذت الظرف وفتحته فإذا بداخله ورقة مطوية وشريط كاسيت ، فتحت الورقة وجدتها بيضاء تماماً إلا من ثلاث كلمات "إلى الدكتورة بوسي" ، حمدت الله كثيراً وكدت أن أسجد لله شكراً ، فكلمة الدكتورة بوسي لم أكن أسمعها إلا من الدكتور عاصم ، وهذا معناه أن عاصم لا يزال على قيد الحياة وأنه هو من أرسل ذلك المظروف ، أخدت شريط الكاسيت و ذهبت مسرعة إلى مكتب الدكتور عاصم حتى أضعه في جهاز التسجيل وأسمع ما به ، في نفس اللحظة وصل حازم حاملاً حقيبته وقد بدت عليه آثار السفر

- بسمة : جيت في وقتك ... دكتور عاصم بعتلي شريط
- حازم : شريط ؟ ... من عاصم ... شريط إيه ؟
- بسمة : تعال بس ... هنسمع ونعرف بيقول إيه

دخلنا المكتب ، وضعت الشريط في الجهاز وضغطت على زر التسجيل

- السلام عليكم ... إزيك يا بسمة ؟ ... يارب تكوني بخير ... معلش بقى على الجو بتاع الكاسيت والكلام ده ... اعذريني بقى راجل قديم شوية ... أنا بعتذرلك طبعاً على كل اللي حصل وعلى المشاكل اللي اتحطيتي فيها بسببي ... أكيد انتي بتسمعي دلوقتي بعدما عرفتي عني كل حاجة

... أنا بس مش عاوزك تظلميني ... وعاوزك تبصيلي زي ما بتبصي دايماً لأي حالة عندنا في العيادة ... على إني مريض مش مجرم ... ومش عاوزك تصدقي اللي بتسمعيه عني ... مش كل الكلام اللي هتسمعيه صدق ... اللهم إلا عم سليمان وحازم أخويا ... دول أكتر اتنين عارفين عاصم كويس ... أنا شفت أيام صعبة قوي يا بوسي ... حاولت الانتحار ... ومكنتش باكل ولا أشرب ... كانوا بيعلقولي محاليل ويدوني الدوا بالعافية ... الأدوية تعبتني قوي ... مكنتش متخيل إنه ييجي اليوم اللي أكون فيه مريض شيزوفرينيا ... وأخترع ناس مش موجودة وأكلمهم ويكلموني ... بطلت الأدوية تعبت أكتر ... مكنتش عارف أكمل إزاي ... كنت بين نارين ... اتحمل الدوا واللي بيعمله فيا ؟ ... ولا أبطل الدوا وارجع للهلاوس والجنان بتاعي ؟

صمت صوت عاصم للحظات تبادلت خلالها نظرات الترقب مع حازم ثم عاد صوت عاصم من جديد

- قرت إني أعمل لهم فيها إني خفيت وبقيت كويس ... رجعت مصر بعد رحلة علاج واستشفاء طويلة جوه وبرة مصر ... فاكرة الفيلم اللي كنت كلمتك عنه قبل كدة ؟ ... Beautiful Mind ... بالصدفة البحتة شفت الفيلم ده وقررت إني أعمل زيه ... بس حطيت التاتش بتاعي ... قررت إني مش هاخد الدوا ... وهعيش مع المرض وأنا عارف إنه غول عايش معايا وبينهش فيا كل يوم ... خلقت العالم البديل الحقيقي الافتراضي في نفس الوقت ... عشت فيه وكنت فاكر إنه هيعوضني ... لكن للأسف فشلت .

صمت الصوت مجدداً وكان واضحاً أن الدكتور عاصم كان يبكي ويحاول التماسك بشتى الطرق

- فشلت زي ما فشلت في كل حاجة في حياتي ... كنت فاكر إني إنسان متفوق في الدراسة والشغل وفرحان بالشهادات اللي معلقها ورا ظهري وأنا أساساً معلقها عشان أستخبى فيها وأداري حاجات كتير ... أداري الزوج الأناني اللي جوايا ... أداري الأب المتسلط والأخ الجاحد ... أداري الكائن اللي ربنا أنعم عليه بكل شئ جميل وهو معرفش قيمة كل ده إلا بعد ما راحت كل حاجة حلوة وجميلة ... ورجعت من جديد لنقطة صفر مش عارف أعمل إيه ... وهيمر وقت كبير قوي لحد ما أعرف ... كل اللي بطلبه منك إنك تسامحيني وتدعيلي كتير ... سلميلي على حازم وعم سليمان وخدي بالك منهم ... هم اللي باقيين لي في الدنيا ... ربنا يطمني عليكم كلكم ... مع السلامة

انتهى حديث عاصم ... ذهبت مسرعة كالمجنونة إلى غرفة الاجتماعات ، وقفت مذهولة أمام السبورة ، اتى حازم ورائي مسرعاً

- حازم : مالك يا بسمة ؟ فيه إيه ؟
- بسمة : ثواني بس يا حازم ... أنا بدأت أفهم كل حاجة

أخذت القلم ومسحت كل الكلمات التي كتبتها ، وفي منتصف السبورة تماماً كتبت أربعة أسماء : ليلى – ميار – نادين - شيرين .... وتحت كل اسم كتبت سبب مشكلتها من وجهة نظر الدكتور عاصم : زوج مهمل – أب متسلط – أسرة مفككة – أخ عدواني ، فسألني حازم

- حازم : مين دول ؟
- بسمة : أنا هقولك يا سيدي إيه دول ... دول العيلة ... العيلة الحقيقية الافتراضية اللي صنعها الدكتور عاصم ... اللي عملها عشان يصلح بيها أخطاء الماضي مع الأربعة دول

وأمسكت القلم وكتبت تحت كل اسم هذه الأسماء بالترتيب : سلوى – ندى – شذى – ضحى

- بسمة : دول الأربع ضحايا اللي أخوك عاصم شايل ذنبهم ومحمل نفسه كل اللي حصل لهم بسببه ... ومش صدفة إن الدكتور عاصم لما جابني هنا وحكالي على التجربة اللي عاوز يعملها مش صدفة أبداً إنه يختار البدائل تقريباً في نفس عمر مراته وأخته وبناته ... مش كدة وبس دول كمان واقعين تحت ظروف مشابهة إلى حد كبير ... ياما سألت نفسي هو ليه اختار دول بالذات دوناً عن غيرهم ؟ ... وقعدت كتير قوي أدور على أي حاجة تربطهم ببعض ومكنتش بلاقي ... عمري ما تخيلت إنه مش بيعالجهم هم وإنه بيعالج نفسه ... بيديهم اللي مقدرش يديه لعيلته الحقيقية .
- حازم : معقولة عاصم عمل كل ده ؟
- بسمة : ملهاش أي تفسير تاني ... انت لو كنت شفت هو بيتكلم إزاي عن العيلة وإزاي بتأثر على الإنسان وممكن تحوله ١٨٠ درجة ... هو فعلاً عمل كدة ... وبالفعل كان بيحل مشاكلهم وبيقربهم من بعض ... لكن مستحيل كنت أتوقع إنه بيعمل كل ده عشان يلاقي لنفسه بديل

يعيش فيه بدل ما تطارده أوهامه ... لكن واضح إنها كانت مش كفاية وإن أوهامه لسه عايشة معاه لغاية دلوقتي .

- حازم : هو للأسف الشديد أنا مصدق كل حرف قلتيه ... واللي بيأكد كلامك ده كلمة واحدة سمعتها في شريط عاصم ... انتي مخدتيش بالك منها ... لكن مستحيل كانت تعدي عليا
- بسمة : كلمة ؟ ... كلمة إيه ؟
- حازم : هو عاصم متعود يقولك "بوسي" من كتير ؟
- بسمة : نعم ؟ ... لا مش كتير ولا حاجة ... هو كان دايماً لما كنا بنبقى لوحدنا بيقولي "يادكتور بوسي" ... بس مش فاهمة برضه إنت عاوز تقول إيه
- حازم : وسعي بقى انتي كدة شوية ... وهاتي قلمك الجميل ده لحظة واحدة

أعطيته القلم فقام بكتابة اسمي على نفس السطر الذي كتبت عليه أسماء "ليلى – ميار – نادين – شيرين" ثم نظر إلى جيداً ورسم تحت اسمي سهماً يشير إلى الأسفل وكتب كلمة "بسنت"

- بسمة : مين بسنت ؟
- حازم : تعالي بقى يا ستي وانا أقولك حكاية بسنت أو زي ما كان دايماً عاصم مسميها "بوسي"
- بسمة : يادي الليلة السودة

ضحك حازم وأشار إلى أحد المقاعد وطلب مني الجلوس ، وعلى المقعد المقابل جلس وقال :

- حازم : بوسي دي بقى يا ستي أو بسنت دي حب عاصم الوحيد ... كانت زميلته في الكلية ... حبوا بعض من سنة أولى ... ولما خلص الكلية وفاتح بابا في موضوعها رفض بشكل عنيف جداً ... بسنت كانت مادياً واجتماعياً أقل مننا بكتير ... وبابا كان شايف إنها مش هي الإنسانة اللي تليق بابنه الكبير اللي بيقول عليه شبهه في كل حاجة
- بسمة : وطبعاً كان باباك مخطط له إنه يتجوز من بنت عمكم من زمان
- حازم : واضح إنه عاصم اعترف لك بحاجات كتير ... بالفعل عاصم بسهولة جداً اتخلى عن حبه لبسنت ... بشكل خنقني أنا شخصياً منه ... مكنتش متصور إنه يبيع حب سنين بالسهولة دي ... وفي شهور قليلة عاصم اتجوز سلوى بنت عمي ... وبدأت المشاكل بينهم
- بسمة : مشاكل إيه ؟
- حازم : المشاكل الصغيرة اللي بتحصل في كل بيت ... اللي لو تجاهلناها بتكبر ... ولو حليناها بسرعة بنوفر على نفسنا كتير ... عاصم مكانش زوج مثالي ولا أب مثالي ... أكيد كان غلطان في حاجات كتير مقدرش أنكر ده ... لكن كان فيه حاجة جواه دايماً بتخليه يفكر في بسنت و يندم على إنه فرط فيها
- بسمة : وطبعاً وهو بيعمل العيلة الجديدة منسيش الست بوسي وقام جايبني مكانها
- حازم : بالظبط كدة

- بسمة : طب تمام ... حلو والله ... كويس إنها مطلعتش في دماغه واتجوزني بالمرة
- حازم : مستحيل كنت أسيبه يعمل كدة
- بسمة : ليه ؟
- حازم : وانتي ذنبك إيه ترتبطي بحد وإنتي متعرفيش عنه حاجة
- بسمة : مانا كنت فاكرة إني أعرف عنه كل حاجة ... وكان ممكن أوافق
- حازم : كنت همنعك
- بسمة : نعم ؟ تمنعني ؟ .... ليه بقى إن شاء الله
- حازم : لأني بحبك ... بحبك وعاوز أتجوزك ... قلتي إيه ؟

في هذه اللحظة تمنيت أن تنشق الأرض وتبتلعني كما يقولون ، وانتظرت أن أتعرض لحالة الإغماء رقم ثلاثة لي في هذه العيادة العجيبة ، ولم تنشق الأرض للأسف ، ورفض عقلي أن يغيب ووجدت نفسي أقول لحازم بمنتهى البلاهة :

- أنا لازم أقوم أمشي دلوقتي حالاً

الاثنين ٣٠ يناير ٢٠١٧

نهاية وبداية

" زي ما قالوا إن وراء كل رجل عظيم امرأة عظيمة هي اللي عملت منه كدة ... أنا دايماً بقول إن وراء كل امرأة فاشلة راجل مطلع عنين أهلها بأنانيته وطلباته وتحكماته وبلاويه اللي ما بتخلصش"

كانت هذه إحدى الأقوال المأثورة التي لا زلت أحفظها جيداً وأكررها دوماً وأنسبها إلى صاحبها "الدكتور عاصم" ، تذكرت هذه المقولة حرفياً وأنا واقفة الآن أراجع بعض مقررات الدكتوراة التي أوشكت اقتربت امتحاناتها واقفة في المطبخ في السادسة مساءً وسط جبال المواعين المتسخة على الحوض أعد ما لذ وطاب من شوربة العدس التي يعشقها زوجي حازم في مثل هذه الأجواء قارصة البرودة .

كنت قد تزوجت حازم خلال شهور قليلة بعدما طلب الزواج مني صراحة في عيادة الدكتور عاصم ، وحضر زفافنا كل أفراد العائلة التي شكلها الدكتور عاصم ، كما حرص على الحضور عم سليمان ، وانتقلت بعد ذلك للعيش مع حازم في الإسكندرية ورزقنا الله عصام" ٥ سنوات" و مرام "سنة ونصف" ، والحق يقال فإن حازم نعم الزوج والصديق ، بالرغم من انشغاله كثيراً بعمله حتى أوقات متأخرة إلا أنه لم يقصر معي أبداً ، ساعدني في إيجاد وظيفة بإحدى المدارس الخاصة هنا بالإسكندرية ، كما يشجعني باستمرار على استكمال الدكتوراة التي تأخرت كثيراً بسبب الزواج والحمل والإنجاب ، واليوم هو عيد زواجنا السادس ، ستة أعوام كاملة مرت على زواجنا ولا زلنا

حتى يومنا هذا لا ندري أين اختفى عاصم ، وهل ما يزال على قيد الحياة أم لا .

- مش عارفة أنا شوربة عدس إيه دي اللي تتعمل في عيد جواز ... والله لو ماما شافتني لتعمل لي أحلى فضيحة

وهنا دخل حازم المنزل ، و بابتسامته الجميلة دخل إلى المطبخ وعانقني عناق المشتاق إلى محبوبته

- حازم : كل سنة وإنتي طيبة يا أحلى بسبوسة في القاهرة واسكندرية وسائر دول حوض البحر المتوسط ، العيال نايمة ولا إيه الأخبار
- بسمة "بابتسامة ذات مغزى" : لا طبعاً مستنيين لما يشوفوا بابا حبيبهم ... إنت عاوزني أنيمهم عشان يفضلوا صاحيين لنا طول الليل
- حازم : أستاااااذ
- بسمة : أنا ورايا مذاكرة مش فاضيالكم
- حازم : طب مانا هذاكرلك ... آه صحيح ... البواب إداني الجواب ده ليكي
- بسمة : جواب ؟ جواب ايه ؟
- حازم : خدي يا ستي ... ناوليني أنا المغرفة دي أقلب لك العدس

أخذت المظروف من حازم ... فتحته ... وإذا به عبارة عن كارت معايدة من الكروت التي يتم إرسالها في المناسبات السعيدة وبداخله جملة واحدة مكتوبة بخط أنيق ، ما إن قرأتها حتى أشرق وجهي من الفرحة كما قال لي حازم بعدها .

- حازم : من مين الكارت ده ؟ ومكتوب فيه إيه ؟
- بسمة : اسمع يا سيدي ... عيد زواج سعيد لأحلى دكتورة بوسي في الدنيا ... سلامي إلى حازم وعصام ومرام
- حازم : دكتورة بوسي ... معقولة يكون اللي في بالي ؟

وكانت تلك هي نهاية القصة ...

ومعها بدأت قصة ثانية مختلفة تماماً

شكر خاص

إلى الأستاذة إكرام عيد و دار الفراعنة

على تبني هذا العمل وتقديمه بهذه الصورة الرائعة


دار
الفراعنة
دار الفراعنة للنشر والتوزيع والترجمة